الباب الثاني:

ملك اليمين

في إطار التدبر لدلالات كلمات

كتاب الله تعالى

obeikandl.com

لا ريب أن الإسلام براء من أحكام السبي والعبيد وملك اليمين، التي أطرت فقيهًا وإحلالاً للتاريخ، وإنها تخالف دلالات كتاب الله تعالى مخالفة صريحة. وبينه لمن يعمل عقله في هذا الخصوص... وقد يتساءل في هذا سائل:

أليس هذا نبشا في التاريخ - دون طائل - لمسائل وقضايا انقضت وعفا عنها الزمن ؟

فما الفائدة من إعادة طرح هذه القضايا في عصر لم يبق فيه عبيد أو ملك يمين ؟

" وأليس هذا القول نقضا وهدما لجانب كبير وهام مما تم تأطيره فقهيا ، ومما تم الإجماع عليه ؛ من معظم الفقهاء والعلماء ؛ ومما تم نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ (سورة النحل٧٥) واحتج بعضهم بهذه الآية على أن العبد المملوك ملك يمين لا يملك شيئا ، ولا يملك كل ماله تعلق بالمال ؟

و ألم يقل الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ (سورة النحل ٧١) واحتج بعضهم بهذه الآية ، أن المولى عز وجل فضل المالكين على مملوكيهم ، فجعل المملوك لا يقدر على ملك مع مولاه " وبهذه الحقيقة برد الله تعالى على عبدة الأصنام ، قائلا من خلال هذه الآية الكريمة: " كيف يجعلون عبيدي ومخلوقاتي معي شركاء وسواء ، في الوقت ذاته الذي لم تجعلوا عبيدكم لا يملكون شيئا وليسوا سواء معكم في الملك ، كذلك الأصنام التي تجعلونها شريكا معي ؟

وللوصول إلى ذات النتيجة وبأن المملوك لا يملك شيئا احتج بعضهم بقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر ٢٩).

هل من المعقول أن أحكامًا تم الإجماع عليها أربعة عشر قرنا، ونفذت على ملايين البشر خلال التاريخ.. تخالف دلالات كتاب الله سبحانه تعالى - وينقضها تماما القرآن الكريم من أساسها كل حكم يحمله القرآن الكريم له ساحات تطبيق وأتباع في كل زمان ومكان، فالنص القرآني حامل للتاريخ، وليس محمولا به..

والتوهم بتاريخية أحكام العبيد وملك اليمين، ناتج عن تلفيق الكثير من الروايات ونسبها إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن التفسير التاريخي المغلوط للآيات القرآنية الخاصة بهذه المسألة..

وهذا يشبه التفسير التاريخي المغلوط في مسألة الناسخ والمنسوخ المزعومة. وسنرى - أن شاء الله تعالى - كيف أن أحكام هذه المسألة لم تنته لأنها تعنى حالات اجتماعية طارئة موجودة في كل زمان ومكان....

وحتى لوفرضنا - جدلا - أن هذه المسألة تاريخية كما زعم، فنحن تعنينا تبرئة القرآن الكريم مما نسب إليه من أحكام ظالمة، لا يحملها ولا بأي شكل من الأشكال.

أحكام العبيد ملك اليمين والتي أطرت في الكثير من موروثاتنا الفكرية والفقهية، تجعل من البشر الذين تطبق عليهم هذه الاحكام مخلوقات قريبة جداً من درجة الحيوانات إن لم تكن أقل درجات من الحيوانات..

وهذه التشريعات التي ينقضها القرآن الكريم - كما سنرى إن شاء الله تعالى - إنما وضعت تحت الضغط التاريخي والسياسي والاجتماعي، والذي

خضع له واضعو هذه التشريعات، ولبست بروايات تاريخية، فصلت حسب مقاسات المتطلبات الاجتماعية لبعضهم في عصر وضعها.. وهي نموذج مثالي لوضع التاريخ وأهواء رجالاته منهجا بديلا عن منهج الله تعالى..

فالتشريع وضع بالذي حسب على الإسلام بسبى النساء في الحروب، وتحويلهن إلى ملك يمين يتم وطؤهن على الرغم من أنوفهن، دون عقد نكاح شرعي كباقي النساء، حتى المتزوجات منهن، وبيعهن وشراؤهن كالحيوانات، وبيع وطئهن لغير المالك مع بقاء خد متهن للمالك، وكأنهن متاع مادي، ووضع تشريعات بحيث يستطيع الرجل وطأ أي عدد منهن، وبحيث لا تنطبق عليهن أحكام كتاب الله تعالى المتعلقة بالنساء، وبحيث لا يشفع لهن إسلامهن الذي لا يستطيع إخراجهن من حالتهن.. إضافة إلى استرقاق الرجال بحيث لا يملكون شيئا، ويباعون ويشترون، ولا يكونون إلا مجرد أرقام في المجتمع، ولا يشفع لهم حتى إسلامهم.. كل ذلك، وغيره مما يندي له الجبين، لا تقبله الفطرة النقية.... وبينا أن العبارة القرآنية.

﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ الله لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ هي جزء من مسألة كاملة تبين لنا، إنه لا يجوز أخذ الأسري من أجل الإثخان في الأرض، وهذا نقيض ما ذهبت إليه تفاسيرنا التاريخية.. (الإثخان في الأرض: التسيد والهيمنة والتسلط).

في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الأنفال ٦٧ - ٦٩).

﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ الله لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾

= ٣٠٣ ، ١١٧٩ + ٣٠٣ = ١٤٨٢ = ١٩+٧٨ .

وبينا من خلال المسألة الكاملة التالية . .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال ٧٠ - ٧١) = ٩٦٩ =١٩ + ٥١ .

وبينا أنه لو كان ما ذهبوا إليه صحيحا ، ويؤمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتل الأسير . .

فما الفائدة من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الأنفال ٧٠) .

لا يوجد نص في القرآن الكريم يبيح السبي أو الاسترقاق ، أو السطو على أموال الناس وعلى أعراضهم أو على دمائهم . . فالله تعالى الرحمن الذي يمنع قتل الأسير أو استرقاقه ، حيث يحصر التعامل معه في خيارين نهايتهما إطلاق سراحه حرا ، لا يمكن أن يبيح الاعتداء على عرضه أو ماله أو حريته . .

مسألة ملك اليمين في القرآن الكريم .

ولم ترد ولا مرة في كتاب الله تعالى بالصيغة الاسمية (ملك اليمين) أو (ملك يمين) ، وما يرد هو الصيغ الفعلية ، وبالفعل الماضي حصرا ، عبر اقتران الماضي (ملك) بإضافات مسألة اليمين: (ملكت أيمانكم) ، (ملكت أيمانهم) ، (ملكت أيمانهن) ، (ملكت يمينك) . . وفي هذا الدليل على أن هذه المسأله لا تصف جنسا محددا من البشر ، إنما تصف حالات اجتماعية طارئة

قد يقع في ساحتها أي إنسان، ويخرج من ساحتها أي إنسان، فلو كانت مسألة تصف جنسا من الناس يتصفون بها بشكل مستمر، لأتت عبارات ملك اليمين في القرآن الكريم بالصيغة الاسمية، أو على الأقل بصيغة الفعل المضارع..

يقول المفكر الإسلامي عدنان الرفاعي في كتابه المعجزة:

وللجذر اللغوي (ي، م، ن) في القرآن الكريم عمقان:

١- عمق مادي حسي، بمعنى القوة الخيرة، حيث ترمز له اليد اليمنى..

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (سورة طه ١٧ - ١٨).

٢- عمق معنوي، بمعنى العهد والميثاق الذى يلزم الإنسان به نفسه..

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران ٧٧).

وبالتالى فمالك اليمين له عمقان أيضا:

١- عمق مادي حسي، يكون فيه الإنسان فقيرا عاجزا ماديا و لايملك المؤهلات المادية والاجتماعية لإدارة شؤونه وشق طريقه في الحياة فيقع تحت ولاية إنسان، وتحت رعايته وتربيته وإشرافه، بحيث يساعده في ذلك، ريثما يتمكن من إدارة شؤونه المادية ومن الاستقلال بذاته..

٢- عمق معنوي، يكون فيه الإنسان واقعا تحت الولاية الإرشادية

والتربوية والدينية، بحيث لا يملك من الوعي والرشد ما يؤهله لقيادة نفسه في المجتمع، أو يكون منتميا إلى دين آخر، ولكنه تحت العلم والنظر والرعاية والإشراف، بحيث نملك تقييمه ونملأ أيدينا منه ومن معرفة أخلاقه وسلوكه..

.. فملك اليمين.. يعني الوقوع تحت الولاية والإشراف والرعاية والإدارة، وتحت العلم بالوقوف على حقيقة المملوك، وذلك حينما يفتقد الإنسان بعض هذه الأمور، ولا يعني أبدا الرق وما تم الذهاب إليه تاريخيا..... وهذا ما نقرؤه في الآية الكريمة: ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ (سورة النحل ٧١).

فالعبارة القرآنية: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ بهذه الصيغة، أعني صيغة الغائب والتعلق بالنعمة، دليل على أن المسألة ليست مجرد مثل يضربه الله تعالى للجاحدين عقيدة بألوهية الله تعالى، مؤكدا فيه أن الرزق لا يرد على ملك اليمين، كما ذهب المفسرون.. أبدا..

إن بداية الآية الكريمة تبدأ بصيغة المخاطب ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ وبعد ذلك ينتقل الخطاب إلى صيغه الغائب: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ أي أن الجحود هو عدم رد الذين فضلوا بالرزق، بجزء من رزقهم على الذين يقعون تحت وصايتهم ورعايتهم وإشرافهم ليكونوا سواء.. وهذا نقيض التفسير التاريخي.. فالله تعالى يريد رد جزء من الرزق على ملك اليمين، وليس العكس..

.. هذا إضافة إلى أن ورود الجحود متعلقا بالنعمة، وليس بالله تعالى

وألوهيته .

﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ ، ينفي توجه التفسير التاريخي الذي يحتجون به ، فكيف يصير عابدو الأصنام جاحدين بنعمة الله تعالى نتيجة هذه العبادة . . إنهم بعبادتهم للأصنام يجحدون الله تعالى وألوهيته ، وليس نعمه) .

ولذالك نرى أن هذه الآية الكريمة جزء من مسألة كاملة تتمحور في تذكير الإنسان بنعم الله تعالى عليه ، وكيف أنه على الرغم من ذلك يعبد بعض البشر ما لا يملك لهم شيئا . . ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠) وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ (٧١) وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (سورة النحل ٧٠-٧٣) ، = ٢٢٨٠ = ١٩ + ١٢٠ .

وهذه الآية الكريمة - التي يحتجون بها - تتكامل مع آيات كريمة - يحتجون بها أيضا - يضرب الله تعالى فيها الأمثال ليبين جحود الإنسان وجهله . .

﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ (سورة النحل ٧١) = ٧٠٠ .

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا

رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (سورة النحل ٧٥ - ٧٦) = ١٤٩٥ .

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر ٢٩) = ٥٧٩ ، ٧٠٠ + ١٤٩٥ + ٥٧٩ = ٢٧٧٤ = ١٩ × ١٤٦ .

واحتجاجهم بهذه الآيات التي يضرب الله تعالى بها هذه الأمثال ، على أنها دليل على عدم تملك المملوك ملك يمين ، يظهر فساد ما يذهبون إليه . . .

فقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ ، بهذه الصيغة ، لا يعني أن جنسا من البشر هم العبيد يتصفون بصفة عدم القدرة على شيء . . فهذا مثال يصف عبدا ما يتميز بهذه الصفة ، لأن الصيغة النكرة التي نراها لا تقتضي الشمول ، إنما عبد واحد هو الذي يضربه الله تعالى مثلا ، والذي يقابلة إنسان ما يتصف بصفة معاكسة في ذات الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ . . فهل كل من رزق رزقا حسنا ينفق منه سرا وعلانية . . بالطبع لا . . إذاً ليس كل عبد مملوكا ولا يقدر على شيء . فحين يقول أحدنا للآخر: أضرب لك مثلا رجلا طويلا لا يستطيع السباحة ، فهل هذا يعني أن كل رجل يتصف بهاتين الصفتين ؟

هذا بالإضافة إلى أن كلمة عبد في القرآن الكريم ، تطلق على الإنسان بشكل عام .

يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (سورة سبأ ٩).

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (سورة ص ٣٠).

ولذلك فكلمة العبيد ليستا خاصتين بجنس من البشر دون غيره.

﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ﴾ (غافر:٣١).

﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ﴾ (فصلت: ٤٦).

وبالتالي يكون تقدير العبارة القرآنية: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ هو ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾، ﴿وَعَبْدًا رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾..

وبذات المنهج التفسيري نفهم الآية الكريمة: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر ٢٩).

من المسألة الكاملة السابقة.. فليس كل رجل فيه شركاء متشاكسون، وليس كل رجل سلما لرجل، وإنما هذه أمثلة لا تخص جنسا من البشر دون غيره، ويضربها الله تعالى ليبين لنا أنه تعالى واحد، وأنه لو تعددت الآلهة لفسدت السماوات والأرض. ولذلك فهذه الآية الكريمة تتوازن مع آية أخرى تصور الموضوع ذاته.

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر ٢٩)، = ٥٧٩.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ

وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (سورة الأنبياء ٢٤) = ٥٧٩ .

والآية الكريمة ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (سورة الأنبياء ٢٢) تتكون من قسمين قسم يتوازن مع عبارة قرآنية في الآية السابقة . .

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ (سورة الأنبياء ٢٤) = ١٩٧ .

﴿فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (سورة الأنبياء ٢٢)= ١٩٧ .

وقسم يتكامل مع أي من الآيتين المتوازنتين السابقتين . .

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر ٢٩) = ٥٧٩ .

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ (سورة الأنبياء ٢٢) = ١٤٣ ، ٥٧٩ + ١٤٣ = ٧٢٢ = ١٩ × ١٩ × ٢ .

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (سورة الأنبياء ٢٤)= ٥٧٩ .

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ (سورة الأنبياء ٢٢) = ١٤٣ ، ٥٧٩ + ١٤٣ = ٧٢٢ = ١٩ × ١٩ ×٢ .

إذا . ما احتجوا به من أن العبيد والمملوكين ملك يمين لا يملكون شيئا ، بناء على هذه الآيات الكريمة ، هو احتجاج باطل ، تنقضه – كما نرى

- الصياغة اللغوية لهذه الآيات والمنهج ذاته نستطيع قراءة المسألة الكاملة التالية . .

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (سورة الروم ٢٨ - ٢٩) = ١١٧٨ = ١٩ × ٦٢ .

فالعبارة القرآنية ﴿مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ لا تعنى جنسا محددا من البشر لا يملكون شيئا، إنما تعنى: من ما وقع تحت رعايتكم وإشرافكم ومسؤوليتكم . . وهذا المثل الذي يضربه الله تعالى هو تفصيل لآيات يريد الله تعالى منا أن نتعقلها، لا أن تقع في الضلال متبعين أهواء أنفسنا بغير علم، للاعتداء على حريات بعض البشر وأموالهم وأعراضهم وكرامتهم . . وهذا ما نستطيع قراءته في التوازن بين العبارتين القرآنيتين التاليتين من هذه المسألة الكاملة . .

﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ = ٣٠٧ .

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ﴾ = ٣٠٧ .

وهكذا نرى كيف أن الزعم بحرمان العبيد وملك اليمين من حق التملك، هو ظلم وضلال واتباع للأهواء بغير علم، وبالتالى هو زعم باطل لا وجود له في كتاب الله تعالى . .

بعد ما تقدم: كيف توفق بين تعريفك لملك اليمين، وبين مقابلة الله

تعالى للحر بالعبد في مسألة القصاص في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ (سورة البقرة ١٧٨)، أليس هذا دليلا على وجود جنس من البشر هم العبيد يقابلون جنس الأحرار ؟

ألم ترد في القرآن الكريم كفارات بتحرير رقبة ؟ ألم ترد مسألة الرقاب واضحة جلية كيف تفسر هذه المسائل على ضوء تعريفك للعبيد وملك اليمين ؟

لقد بينت في الإجابة على مسألة الناسخ والمنسوخ المزعومة، فساد التفسير التاريخي للعبارة القرآنية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ (سورة البقرة ١٧٨)، وبينت أنها تتكامل مع الآية الكريمة التي زعموا أنها ناسخة لها . .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ (سورة البقرة ١٧٨) = ٤٨١ .

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة المائدة ٤٥) = ٩٠٦، ٤٨١ + ٩٠٦ = ١٣٨٧ = ١٩ × ٧٣ .

ذلك على . . أن العبارة القرآنية ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ لو فسرت في إطار المنهج القرآني المجرد عن الحيثيات التاريخية، لما تم زعم نسخها . ولا داعي لإعادة تكرارما قلناه في تفسير هذه العبارة القرآنية، حينما تعرضنا في مسألة الناسخ والمنسوخ المزعومة (في عدة مقالات) .

أحدهما مملوك للآخر، ومتقابلين في حق التملك وفي امتلاك الكرامة وحرمة العرض والمال.. أبدا... إنهما تعنيان مركزين وظيفيين متقابلين في اتخاذ القرار بالنسبة لمسألة محددة في أي مجتمع كان.. فكلمة الحر تصف فردا مسؤولا وصاحب قرار حر، وبيده رسم القرار المحيط بالنسبة لمسألة ما. وكلمة العبد تصف فردا واقعا تحت إمرة ذلك الحر، بحيث لا يملك إلا تنفيذ قرارات ذلك الحر، بالنسبة لتلك المسألة فقط، ولا تعنى أبدا أن ذلك العبد مملوك ولايملك شيئا في كل مناحي حياته.

إذاً.. العبارة القرآنية: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾، تصور لنا حالتين وظيفتين متقابلتين بالنسبة لامتلاك القرار والمرتبة القيادية في المجتمع، بالنسبة لحالة وظيفية محددة يجمع فيها الحر مع العبد.. فالله تعالى يقول لنا من خلال هذه الصياغة: أن القصاص ينال الفاعل ذاته - كما بينا سابقا - ولا تلغي هذا القصاص المراتب الوظيفية بين البشر مهما كانت..

فالمراتب المعيشية والوظيفية بين البشر، ورفع بعضهم فوق بعض درجات يتخذ من خلالها بعضهم سخريا، ما بين رئيس ومرؤوس، هو في حقيقته تقابل بين مالك للقرار الحر ومنفذ له دون امتلاك الحرية بعدم تنفيذه.. وهذا ما نراه في المسألة الكاملة التالية..

﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ (سورة البقرة ١٧٨) = ١٦١.

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ (سورة الزخرف ٣٢)= ٦٧٥، ١٦١ + ٦٧٥ = ٨٣٦ = ١٩ × ٤٤.

فاختلاف المناصب الوظيفية بين البشر، لا يلغي حرمة الدم في القصاص، فإن قتل رئيس مرؤوسه يقتل به، كما إنه لو قتل مرؤوس رئيسه

يقتل به ، ولا تعنى هذه العبارة القرآنية جنسين من البشر كما فسر تاريخيا . .

ومما يؤكد صحة ما نذهب إليه ، هو العبارة التالية مباشرة لعبارة ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ ، وهي عبارة: ﴿وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ . . فالأنوثه هنا مجردة عن أي مفهوم طبقي ، لتصف أي أنثى مهما كانت . .

ولو أن العبارة القرآنية ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ تعنى جنسين مختلفين من البشر ، أحدهما مملوك للآخر ، وتصف الذكور من هذين الجنسين ، لاقتضى ذلك ورود العبارة القرآنية ﴿وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ بصيغة أخرى يتم فيها التمييز بين الأناث من هذين الجنسين . . ولكن ورودها بهذه الصيغة ﴿وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ يؤكد أنه لا وجود لجنسين مختلفين أحدهما مملوك للآخر . . فورود العبارة القرآنية:

﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ تعنى كما قلنا مرتبتين وظيفتين متقابلتين ، لكل من الجنسين الذكور والإناث ، وليست خاصة بالذكور دون الإناث . .

ولقد بينا جليا من قبل أنه لا يوجد نص قرآني يحرم إنسانا من حق التملك ، أو يجعله رقما لا قيمة إنسانية له ، وبينا أنه لا سبي في القرآن الكريم ، ولا استرقاق ، ولا اعتداء على أعراض الآخرين وحرياتهم وأموالهم ، وأن القرآن الكريم بريء من كل هذه الأحكام الوضعية التي حسبت عليه ، وهو منها براء . . فالأولى بنا أن ندرك دلالات العبارة القرآنية ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ من منظار هذه الثوابت القرآنية . .

ووجود طبقة من العبيد خلال التاريخ ، بعد نزول القرآن الكريم ، هو وجود غير شرعي ، ولا يريده الله تعالى . . ولا يمكن الاحتجاج بالتاريخ

وأفعال رجاله لإثبات شرعية أحكام لا وجود لها في كتاب الله تعالى . .

أما بالنسبة لمسألة الرقاب، فقد وردت في القرآن الكريم في جميع مرات ورودها دون أي تعلق بعبارات العبيد وملك اليمين، فالله تعالى يقول: (تحرير رقبة)، حيث وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم خمس مرات ككفارة يكفر بها الإنسان عن ذنبه . . ووردت العبارة القرآنية ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ مرة واحدة دون تعلق بكفارة، لتشمل مساحة أكبر وأوسع من المساحة المعنية في الصيغة الأخرى، فهي ضمن سياق قرآني يصور جوهرالإنفاق المادي من زاوية كونه برا وصدقة، يقتحم بها الإنسان الموانع والحواجز، مترقيا من عالم المادة الهابط إلى عالم الروح .

والخلاص لله تعالى . .

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (سورة البلد ١١ - ١٦) .

يقول المفكر الإسلامي عدنان الرفاعي (في كتابه المعجزة الكبرى):

إن مشتقات الجذر اللغوي (ر، ق، ب) تدور في إطار دلالات الانتظار والترقب . .

﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (سورة طه ٩٤) . . والتحرير هو بمعنى الخلاص والاستقلال .

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة آل عمران ٣٥) . .

والانفكاك بمعنى الترك والانفصال . .

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (سورة البينة ١) . . وكلمة ﴿رَقَبَةٍ﴾ لم ترد في القرآن الكريم إلا نكرة، مؤنثة لتشمل حالات واسعة ليست محددة بحيثية تاريخية محددة، ولا بجنس محدد من البشر دون غيره . ولكن القاسم المشترك بين جميع هذه الحالات هو عدم الانفكاك وعدم التحرر من هذه الحالة، وعدم الاستطاعة لفعل ذلك، كأن يقع إنسانٌ ما تحت ضائقة مادية تحيط به، فتجعله مأسورا لمراقبة إنسان آخر وانتظاره، فتجعله مسجونا، أو يحجز أجره وكسبه لحين سداد ما عليه لغيره، في الوقت الذي لا يستطيع فيه السداد، فيكون تحرير هذا الإنسان من الحالة التي هو فيها وفكه منها، كفارة وصدقة وقربة من الله تعالى . .

فكلمة ﴿رَقَبَةٍ﴾ تعنى حالة يقع فيها الإنسان تحت الانتظار والمراقبة بشكل كامل، وبحيث تسد أمامه كل آفاق الخروج من هذه الضائقة، وبحيث لا يستطيع الخروج من هذه الحالة التي هو فيها . . . ولذلك نرى أن القيمة العددية لهذه الكلمة مسألة كاملة في معيار معجزة إحدى الكبر:

﴿رَقَبَةٍ﴾ = ٣٨ = ١٩ × ٢ .

ومما يؤكد أن كلمه ﴿رَقَبَةٍ﴾ هي حالة وضائقة ما، هو أنها لم تجمع جمع المؤنث السالم، (رقبات)، لأنها لا تعنى فردا من جنس محدد من البشر، إنما تعنى - كما قلنا - حالة وضائقة مجردة عن أي جنس بشري، ومن الممكن لأي إنسان مهما كان جنسه أن يقع في مثل هذه الحالة، ولذلك نراها تجمع جمع تكثير ﴿الرِّقَابِ﴾ .

وفي الصورتين القرآنيتين اللتين ترد في سيا قهما كلمة الرقاب لتصور جوهر الإنفاق المادي من زاوية كونه برا وصدقة: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ

ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ (سورة البقرة ١٧٧) . ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (سورة التوبة ٦٠) .

في هاتين الصورتين. نرى أن الصدقة وإتيان المال هو: في ﴿الرِّقَابِ﴾ ، أي في سبيل فك حالة ﴿الرِّقَابِ﴾ وتحريرها مما هي فيه ، وليس ﴿للرِّقَابِ﴾ . . فالذي يدفع هو لمن ينتظر السداد من صاحب الحالة الذي لا يستطيع سداده ، وليس للغارق في هذه الحالة . .

ودون الاقتران بكفارة ، رأينا أن العبارة القرآنية ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ مع سياقها القرآني المحيط والمصور لجوهر الإنفاق المادي كبر وصدقة وعطاء غير مقترن بكفارة ، هي فقط التي تصور ذلك ، فالصيغ القرآنية (تحرير رَقَبَةٍ) رأينا أنها خاصة بالكفارات . . ولذلك نرى أن العبارة القرآنية ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ مع سياقها القرآني المحيط بها ، تتكامل مع السياق القرآني المحيط بعبارتي ﴿فى الرِّقَابِ﴾ ، والذي يصور جوهر الإنفاق المادي كبر وصدقة يخلص بها الإنسان لله تعالى .

﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ (سورة البقرة ١٧٧) = ٣٦٩ .

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (سورة التوبة ٦٠) = ٥٤١ .

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (سورة

البلد ١١-١٦)، = ٦٢٩، ٣٦٩ + ٥٤١ + ٦٢٩ = ١٥٣٩ = ١٩ × ٨١.

وفي هذه المسألة الكاملة نرى كلمة (وفي) تتكرر في العبارة القرآنية ﴿وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، وفي هذا دليل على أن مسألتي الإنفاق في الرقاب والغارمين، لها إطارها الخاص والذي يميزهما عن إطار مسألتي الإنفاق في سبيل الله تعالى وابن السبيل.

وما نود إلقاء الضوء عليه هو الفارق بين الإنفاق في مسألة الرقاب، وبينه في مسألة الغارمين، وذلك في العبارة القرآنية ﴿وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ﴾..

في هذا التفريق، تتضح حقيقة دلالات النص القرآني أمامنا بشكل أكبر.

وفي الجذر اللغوي (غ، ر، م)، علينا أن نميز بين دلالات الفعل اللازم (غرم)، حيث اسم الفاعل من هذا الفعل هو كلمة (غارم) واسم المفعول هو كلمة (مغروم)، فالغرم في هذه الحالة - من الفعل اللازم (غرم) لا يتعدى الإنسان المغروم، فالمغروم هو ذاته الغارم، فلا علاقة لغير الإنسان الغارم بهذ الغرم، أي أن الغرامة المستحقة على الإنسان الغارم، والتي لا يستطيع دفعها، ليست لصالح إنسان آخر، وإنما هي لمصيبة لا علاقة للآخرين بها.. وأكثر ما يجسد هذه الحالة هو المرضى الذين فيهم مرض علاجه باهظ، ويشكل بالنسبة للإنسان الفقير الغارم غرما فوق طاقته ولا قدرة له دفعه..

وهذا ما تعبر عنه كلمة ﴿الْغَارِمِينَ﴾ في النص القرآني ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (سورة التوبة ٦٠) من المسألة

الكاملة السابقة . .

. . وكلمة ﴿الْغَارِمِينَ﴾ وهي من الفعل اللازم (غرم) – كما قلنا – لم ترد في كتاب الله تعالى إلا في هذا الموقع ، وكلمة (المرضى) بأل التعريف لم ترد في كتاب الله تعالى إلا مرة واحدة . .

وتتجلى عظمة الصياغة القرآنية بأنه لو جمعنا القيمة العددية لهاتين الكلمتين ، لرأينا أنهما متكاملتان في معيار معجزة (إحدى الكبر) . .

﴿الْغَارِمِينَ﴾ (سورة التوبة ٦٠)= ٥٦ .

﴿الْمَرْضَى﴾ (سورة التوبة ٩١) = ٣٩ ، ٥٦+ ٣٩= ٩٥= ١٩× ٥ .

ولو كانت كلمة ﴿الْغَارِمِينَ﴾ تعنى المدينين – كما ذهبت التفاسير التاريخية لكان هناك دائن ومدين ، أي مغرم ومغرم ، وهذا يناسبه كلمة المغرمين ، وليس كلمة الغارمين ، أي لوردت العبارة القرآنية على الشكل ﴿وَفِي الرِّقَابِ وَالْمغَرِمِينَ﴾ بينما نراها ترد ﴿وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ﴾ . فصياغة القرآن الكريم مطلقة ، وهي مكمن معجزته كما رأينا ونرى بأم أعيننا . .

بينما الفعل المتعدى أغرم . . اسم الفاعل منه هو (مغرم) ، واسم المفعول هو (مغرم) ، فهناك غرامة مستحقه على المغرم لا بد أن يدفعها للمغرم ، وهذه الغرامة حينما تشكل عبأ على المغرم بحيث لا يستطيع دفع الغرامة المستحقة للمغرم ، وبالتالى تشكل حالة وضائقة لا يستطيع المغرم الخروج منها ، فإن إخراج هذا المغرم من حالته بدفع الغرامة عنه ومساعدته للخروج من تلك الضائقة ، يكون ذلك بمثابة فك رقبة ، وهذا ما تصوره العبارة القرآنية ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ في المسألة الكاملة السابقة . .

ولو جمعنا العبارتين القرآنيتين ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ (البقرة: ١٧٧) ﴿وَفِي

﴿الرِّقَابِ﴾ (سورة التوبة ٦٠)، وفي المسألة الكاملة السابقة، مع كلمة ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ (الواقعة ٦٦) من الفعل المتعدي (أغرم) (اسم مفعول) وهي الكلمة الوحيدة التي ترد في كتاب الله تعالى بهذه الصيغة، لرأينا أننا أمام مسألة كاملة في معيار معجزة(إحدى الكبر) . .

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ (البقرة: ١٧٧) = ٥٩ .

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ (سورة التوبة ٦٠) = ٥٩ .

﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ (الواقعة ٦٦) = ٥٣ .

٥٩ + ٥٩ + ٥٣ = ١٧١ = ١٩ × ٩ .

ولو أخذنا الكلمة القرآنية (لمغرمون) مع الآية الكريمة (فك رقبة)، لوجدنا أيضا مسألة كاملة في معيار معجزة (إحدى الكبر . .) .

﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ (الواقعة ٦٦) = ٥٣ .

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ (البلد: ١٣) = ٦١ ، ٥٣ + ٦١ = ١١٤ = ١٩ × ٦ .

إذاً الرقاب وتحريرها وفكها، هو إخراج المغرم الذي لا يستطيع وفاء ما عليه من حالته التي هو فيها، من خلال دفع الغرامة المستحقة عليه للمغرم . . وهذه الحالة موجودة في كل زمان ومكان، ولا علاقة لمسائل العبيد وملك اليمين - حسب المفهوم التاريخي - بمسألة لا من قريب ولا من بعيد، فكما قلنا لم يقرن القرآن الكريم بينهما ولا بأي نص من نصوصه . .

وما تم تلبيسه لمسألة الرقاب من دلالات تاريخية بمعنى تحرير العبيد وملك اليمين، إنما هو خروج على حقيقة دلالات كتاب الله تعالى، لأنه في كتاب الله تعالى لا يوجد سبي - كما رأينا - ولا يحق الاعتداء على أعراض الآخرين وأموالهم وحرياتهم .

يعترض البعض بدعوى أننا فيما تقدم، لم تتعرض إلا إلى جانب تحريم السبي، وإلي جانب الحريات المادية والشخصية مفسرا العبد في القرآن الكريم على أنه الإنسان....

ولم تتعرض إلى جانب النكاح وأحكامه، وبدعوى أيضا أن هناك نصوصًا قرآنية واضحة تميز مسألة ملك اليمين عن الأزواج في مسألة النكاح.. ومثيرين لهذه **التساؤلات:**

ألم يقل الله تعالى في سياق تحديد المحرمات ﴿**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ (سورة النساء ٢٤) مستثنيا ملك اليمين من تحريم المحصنات إحصان زواج؟

ألم يخاطب الله تعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائلا ﴿**لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ**﴾ (سورة الأحزاب ٥٢) مستثنيا ملك اليمين من جملة النساء الأزواج المعنيات في أحكام هذا النص القرآني.

كيف بنا أن ندرك حكم ملك اليمين وخصوصيته في مخاطبة الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ**﴾ (سورة الأحزاب ٥٠)؟

.. كيف بنا أن ندرك دلالات النصوص القرآنية المحيطة بهذه المسألة بعيدا عن المفهوم التاريخي لها ؟

على قولنا بأن.... صيغ ورود مسألة ملك اليمين في القرآن الكريم، هي صيغ فعلية، وبالفعل الماضي حصرا، عبر اقتران مشتقات الفعل الماضي ملك بإضافات **مسألة اليمين:**

﴿**مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾، ﴿**مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**﴾، ﴿**مَلَكَتْ**

أَيْمَانُهُنَّ﴾ ، ﴿مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ .

ولو كانت مسألة تصف جنسا من الناس يتصفون بها بشكل مستمر ، لأتت عبارات ملك اليمين في القرآن بالصيغة الاسمية أو على الأقل بصيغة الفعل المضارع . .

وبينا . . أن ملك اليمين يعني الوقوع تحت الولاية والإشراف والرعاية والإدارة ، والعلم بالوقوف على حقيقة المملوك ، ولا يعني أبدا الرق وما تم الذهاب إليه تاريخيا . ولإدراك هذه المسألة جيدا ، لابد من إدراك معنى النكاح في القرآن الكريم .

وفي كتابه (المعجزة الكبرى) يقول عدنان الرفاعي في هذا الخصوص:

النكاح في القرآن الكريم ، هو العقد الشرعي بين الرجل والمرأة ، ويسبق الدخول ، ولا يعني مجرد الوطء ، فلربما يحصل النكاح دون وطء . . وفي المسألة الكاملة التالية لأكبر دليل على ذلك . .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (سورة الأحزاب ٤٩) = ٥١٣ = ١٩ × ٢٧ .

وعقد النكاح هو الوسيلة الوحيدة لوقوع مسألة الوطء ، وأي وطء دون عقد نكاح شرعي ، هو زنى ، مهما كان جنس طرفي الوطء . . وفي المسألة الكاملة التالية لأكبر دليل على صحة ما نذهب إليه . .

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ (سورة النور ٣٢) = ٢٢٨ = ١٩ × ١٢ .

إن عطف العبارة القرآنية: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾

(سورة النور ٣٢) على العبارة القرآنية ﴿الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ في مسألة واحدة هي مسألة النكاح ﴿وَأَنْكِحُوا﴾ لأكبر دليل على أنه في مسألة النكاح، لا فارق بين الأيامى والعباد والإماء.. وبالتالى كل لقاء بين امراة ورجل خارج إطار عقد النكاح الشرعي، هو خروج على أحكام كتاب الله تعالى..

والمسألة الكاملة التالية تؤكد هذه الحقيقة..

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ (سورة النساء ٢٥) = ١١٤٠ = ١٩ × ٦٠.

فقوله تعالى ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ الذي يعني به ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ لأكبر دليل على أن المعنيات بقوله تعالى: ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ لا يجوز وطؤهن إلا عبر عقد نكاح شرعي..

ونرى أيضا في العبارة القرآنية التي تصور الشرط الثاني في تعدد الزوجات، كما بينا سابقا: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ (سورة النساء ٣).

نرى أيضا أن عقد النكاح يشمل ملك اليمين أيضا.

فقوله تعالى: ﴿فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، يعني: فنكح واحدة أو نكح مما ملكت أيمانكم..

ولو كان ملك اليمين مستثنى من العدل بين الزوجات، لتم العطف بالحرف (و) بدل كلمة (أو) في هذه العبارة القرآنية ﴿فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ﴾ أي لكانت العبارة القرآنية على الشكل ﴿فَوَاحِدَةً وْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ بمعنى: أن لم يتحقق العدل فواحدة تجمع مع ملك اليمين، ولكن ما نراه أن الله تعالى يقول: ﴿فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ . .

وهذه العبارة القرآنية التي تصور شرط العدل بين النساء ولا تستثنى ملك اليمين من هذا العدل، تتكامل مع عبارة قرآنية تصور مسألة الإنفاق على العيال . .

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ (سورة النساء ٣) = ٣٣١ .

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة ٢٨) = ٢٧٧ ، ٣٣١ + ٢٧٧ = ٦٠٨ = ١٩ × ٣٢ .

فملك اليمين المتعلقة بعقد نكاح، هي من العيال، ولا تختلف من حيث العدل والإنفاق عن العيال بشيء . .

وهكذا يتأكد أن ملك اليمين في كتاب الله تعالى، لا يعني أبدا ملك الوطء دون عقد نكاح شرعي، فالوطء - بعد النكاح الشرعي - مسألة تستمر عادة، ولو كان ملك اليمين يعني ملك الوطء، لا قتضي ذلك ورود صيغ ملك اليمين بصيغة المضارع، ولكن ما نراه أن كل تلك الصيغ تأتي بصيغه الماضي حصرا .

ونرى - أيضا - أن ملك اليمين لا يعني استثناء من العدل بين النساء، ولا يعني استثناء من الإنفاق على العيال . .

وصيغ ملك اليمين التي تأتي بها في القرآن الكريم (وهي كما قدمنا صيغ فعلية وبالماضي حصرا)، تستمد دلالاتها من السياق القرآني المحيط، فلكل سياق قرآني دلالات يتم إسقاطها على عبارة ملك اليمين في ذلك

السياق . . وهذا أمر طبيعي ، فعلى سبيل المثال كلمة (أكلت) لا تعطي معنى محددا لمعرفة ماهية الأكل المعنى الذي تم أكله ، إلا من خلال سياق محيط يدل على ماهية الشيء المأكول ، لأنها صيغة فعلية وليست اسمية . .

ففي بعض الحالات تعنى عبارة ملك اليمين امرأة الإنسان التي يرتبط معها بعقد نكاح شرعي . .

وفي المسألة الكاملة التالية دليل على ذلك:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (سورة الأحزاب ٥٠) ١٥٠١ = ١٩ × ٧٩ .

فالعبارة القرآنية ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ﴾ تعنى اللاتي ملكت وطأهن - طبعا بعقد نكاح شرعي - ولكن دون أن تدفع مهرا ، أي بفيء من الله تعالى . .

والفارق بين المعنيات في هذه العبارة القرآنية والمعنيات بالعبارة السابقة لها مباشرة: ﴿اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ ، أن المعنيات الآية القرآنية: ﴿اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ هن اللاتي تم دفع مهرلهن . .

أي أن الفارق بين هذين النوعين هو ذاته الفارق بين العبارة القرآنية: ﴿اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ والعبارة القرآنية: ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ﴾ .

فالقارق - إذاً - هو في حيثيات المهر ، وليس في جنس النساء . .

فالمعنيات بالآية القرآنية: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ﴾، لا ينتمين إلى مرتبة أقل من غيرهن، فهن حالة كاملة من حالات ما أحله الله تعالى لنبيه . .

﴿وما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ﴾ = ١٣٣ = ١٩ × ٧ .

ولذلك نرى أن النص القرآني المتعلق بتحديد حالات ما أحله الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من المسألة الكاملة السابقة، يتكامل مع عبارة قرآنية تصور أحكاما تتعلق بالمسألة ذاتها . .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأحزاب ٥٠)= ١١٠٤ .

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ (سورة الأحزاب ٥٢)= ٥٣٠ ، ١١٠٤ + ٥٣٠ = ١٦٣٤ = ١٩ × ٨٦ .

فالاستثناء ﴿إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الآية الكريمة: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ لا يعني جنسا من النساء اللاتي سيتم سبيهن . .

فهذه العبارة ﴿إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ هي بصيغة الماضي وليس المضارع، وتعني نساءه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . فالمسألة الكاملة داخل هذه الآية الكريمة . .

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ (سورة الأحزاب ٥٢)= ٣٤٢ = ١٩ × ١٨ .

هذه المسألة . . تعنى جميع النساء على وجه الأرض، ودون استثناء، ومنهن نساؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . ولذلك تأتي العبارة القرآنية ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ لتستثني نساءه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللاتي ملك وطأهن بعقد نكاح شرعي، من بين مجموعة النساء على وجه الأرض . . فلولا هذا الاستثناء لحرمت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه نساؤه . .

وهذه الجانب من دلالات ملك اليمين نراه في المسألة الكاملة التالية . .

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (سورة النساء ٢٤) = ١١٤٠ = ١٩ × ٦٠ .

فالعبارة القرآنية ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ هي ضمن سياق قرآني يحرم العقد على المتزوجات، وهذه العبارة مطلقة تشمل كل المتزوجات على وجه الأرض، ومن ضمنهن أزواج المخاطبين بهذه العبارة القرآنية، كونهن متزوجات منهم . .

وتأتي العبارة التالية لها مباشرة ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ لاستثناء زوجات المخاطبين بهذه العبارة القرآنية، من بين مجموعة المتزوجات على وجه الأرض . .

بمعنى أنه يحرم عليكم جميع النساء المحصنات إحصان زواج بعقد نكاح شرعي، إلا ما ملكتم وطأهن بعقد نكاح شرعي، وهن أزواجكم المحللات

لكم . فلولا هذه العبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ لحرم على المتزوج زوجته . .

أما ما تم الذهاب إليه من أن العبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ تعنى إلا المتزوجات اللاتي يتم سبيهن بالحروب ، فهذا تفسير فاسد ، أعتقد أننا بتنا نرى فساده بأم أعيننا . .

وفي بعض الحالات تعنى عبارة ملك اليمين الذين نملك العلم فيهم والطمأنينة ، من أنهم كشهوة وغريزة وميل للنساء لا يختلفون عن الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا عن التابعين غير أولي الإربة من النساء ، وفي المسألة الكاملة التالية لأكبر دليل على ذلك..

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ (سورة النور ٣١)= ١٦٩١ = ١٩ × ٨٩ .

وأيضا في المسألة الكاملة التالية بيان لهذا الجانب مما تعنيه عبارة ملك اليمين في كتاب الله تعالى . .

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ (سورة الأحزاب ٥٣)= ٦٩٩ .

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللهَ

﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (سورة الأحزاب ٥٥) ٦٣١ . ٦٩٩ + ٦٣١ = ١٣٣٠ = ١٩ × ٧٠ .

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (سورة الأحزاب ٥٣) ٣٨٠ = ١٩ × ٢٠ .

فالعبارة القرآنية ﴿ولَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ في هذه المسألة الكاملة، تعنى الذين تم العلم والتأكد والطمأنينة بأنهم لا يأتي منهم أذى تجاه أحكام هذه المسألة، كونهم لا ميل عندهم للنساء ولا شهوة تجاههن، فشرط طهارة القلوب وعدم الإيذاء الذي تحمله هذه المسألة الكاملة متحقق فيهم . .

ودليل أكبر على هذا الجانب من مسألة ملك اليمين، نراه في المسألة الكاملة التالية . .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة النور ٥٨ - ٥٩) = ٢١٠٩ = ١٩ × ١١١ .

فهذا الجانب مما تعنيه عبارة ملك اليمين في كتاب الله تعالى، تتم فيه مساواة المتصفين به، مع الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، ونرى أن الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم حينما يتجاوزون مرحلة بلوغ الحلم، يخرجون من إطار عدم الاستئذان .

(طبعا ما عدا المرات الثلاث الواردة في هذه المسألة الكاملة)، في حين

أن المتصفين بهذا الجانب من مسألة ملك اليمين لا يخرجون من هذا الإطار، وهذا يدل على أنهم ليس لديهم شهوة وغريزة وميل للنساء..

وهناك جانب مما تعنيه عبارة ملك اليمين في كتاب الله تعالى، يصف الذين ينقصهم تعلم حرفة، وإدارة أنفسهم وأحوالهم بسبب فقرهم، أو ينقصهم الوعي والرشد والصلاح، وبالتالى يكونون تحت ولاية إنسان آخر، أي تحت رعايته وإشرافه، ريثما يتمكنون من الاعتماد على ذاتهم.

وهؤلاء يأمر الله تعالى بتزويج الصالحين منهم بعد بلوغهم الرشد والصلاح، ويأمر جل وعلا بعدم تمييزهم عن الأيامى، ففقرهم لا يجعل منهم جنسا آخر لا يحق له تملك حق النكاح كباقى البشر.. وهذا الجانب نراه في المسألة الكاملة التالية..

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة النور ٣٢ - ٣٣) = ١٢٩٢ = ١٩ × ٦٨.

وكنا قد رأينا أن المتصفين بهذا الجانب مما تعنيه عبارة ملك اليمين في كتاب الله تعالى، شأنهم كشأن غيرهم في امتلاك حق عقد النكاح، وذلك من دلالات المسألة الكاملة التالية داخل هذه المسألة..

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ = ٢٢٨ = ١٩ × ١٢.

والعبارة القرآنية: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ في هذه المسألة الكاملة يؤكد صحة ما نذهب إليه، فالمعنيون بهذه العبارة القرآنية هم المتصفون بهذا الجانب من دلالات ملك اليمين، والذين يريدون الخروج من تحت الولاية المادية، بعد امتلاكهم القدرة على النفقة والإعتماد على الذات، والله تعالى يأمر بإجابة طلبهم شريطة التيقن من أنهم أصبحوا قادرين على إدارة أنفسهم وشؤون حياتهم ويأمرنا جل وعلا بمساعدتهم وإعطائهم من أموالنا التي أتانا الله تعالى إياها..

فالمعنيون بهذه العبارة القرآنية إلى اليتامى الذين كانوا تحت ولاية إنسان ريثما يكبروا، ويريدون الانفكاك من هذه الولاية بعد ما أصبحوا قادرين على إدارة شؤونهم بأنفسهم..

والخصوصية التي تميز المعنيين بهذا الجانب من ملك اليمين عن اليتامى، أنهم لا يشترط فيهم الصغر في السن، كما هو الحال في اليتامى، وهم - بشكل عام - أفقر من اليتامى حيث اليتامى لا يشترط فيهم الفقر.. ودليل ذلك أن الله تعالى يأمرنا أن نأتيهم من مال الله تعالى الذي آتانا إياه: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾.

إن الذهاب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾، إلى أن ابتغاء الكتاب المعني هو طلب الخروج من تحت الولاية المادية حين الإعتماد على الذات، وتشبيهه بمسألة اليتامى هو نسف لمفهوم المكاتبة بين العبد وسيده الذي تحمله الروايات، وعملت به الأمة قرونا من الزمن، والذي يعني عقدا مؤجلا يعتق في نهايته المملوك مقابل مبلغ يوفيه للمالك في نهاية الأجل المتفق عليه.. كما لابد له أيضا من برهان دامغ، لا

يقف عند حدود تفنيد فساد التفسير التاريخي فحسب ، إنما يتعداه إلى تقديم الحجج التي تضع النقاط على الحروف . .

في اعتقادنا أن الدلالات الحق لآيات كتاب الله تعالى ، لا تدرك أبدا إلا بالخروج من مستنقع التاريخ ، وبفهم دلالات الكلمات القرآنية والجمل القرآنية ؛ كما هي صياغتها اللغوية ، بعيدا عن تأثير ضغط الموروث التاريخي وأبواق الناعقين ، لتحويله صنما يحول بيننا وبين كتاب الله تعالى .

فأحكام العبيد وملك اليمين التي حسبت على الإسلام وهو منها براء ، تشمئز منها الفطرة النقية ، ولا يقبلها عقل أو منطق ، وتسيء للإسلام الحق الذي أراده الله تعالى رحمة للعالمين . .

وفوق كل ذلك ، لا وجود لها في كتاب الله تعالى ، وينقضها كتاب الله تعالى من أساسها . .

فنحن حينما نبرهن من كتاب الله تعالى أنه لا سبي في الدين الحق الذي يحمله كتاب الله تعالى ، ولا استرقاق للبشر ، وأن حرمة المال والعرض والحرية مصانة ولا يجوز الاعتداء عليها ، نكون بذلك قد فتحنا آفاقا جديدة ، نستطيع الانطلاق منها لرؤية دلالات هذه العبارة القرآنية وغيرها ، بعيدا عن فرض تصورات البشر وأهوائهم على رؤية تلك الدلالات . .

لنقارن بين العبارة القرآنية ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ (سورة النور ٣٣) ، وبين الآية الكريمة التالية ، التي تدور دلالاتها في إطار مسألة ابتلاء اليتامى حتى مرحلة بلوغهم واستقلالهم وملكهم لأموالهم وإدارتهم لشؤون أنفسهم وهي قريبة من تفسيرنا لدلالات العبارة القرآنية . .

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا

فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ (سورة النساء ٦).

العبارة القرآنية ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾، تصف - كما قدمنا - أولئك الذين يبتغون الانفكاك من الولاية المادية التي كانوا تحتها، وذلك بعد أن بلغوا مرحلة إدارة أنفسهم والاعتماد على ذاتهم دون الحاجة لتلك الولاية.. وهذا يقابلة بلوغ اليتامى مرحلة النكاح، حيث تدفع إليهم أموالهم بعد ما أصبحوا قادرين على إدارة أنفسهم، وهذا ما تصوره العبارة القرآنية ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾.

ولذلك نرى أن القيمة العددية لكل من هاتين العبارتين القرآنيتين مساوية للقيمة العددية للعبارة الأخرى..

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ = ١٢٨.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ = ١٢٨.

يقول عدنان الرفاعي (المرجع السابق):

(لو أخذنا العبارة القرآنية ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ حيث المرحلة التي تدفع فيها أموال اليتيم له، ويخرج من تحت الوصاية كونه يتيما، لرأينا أنها تتكامل مع العبارة القرآنية ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾، حيث يأمر الله تعالى بخروج المملوك بالولاية والوصاية من تلك الولاية بعد بلوغة مرحلة إدارة شؤونه بنفسه، واعتماده على ذاته.. ولذلك نرى أن هاتين العبارتين القرآنيتين تتكاملان في معيار معجزة (إحدى الكبر).

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ = ١٢٨.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ = ٢٥٢ ، ١٢٨ + ٢٥٢ = ٣٨٠ = ١٩ × ٢٠ .

ولو أخذنا العبارة القرآنية ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ من هذه المسألة الكاملة، لرأينا أنه حتى كلمة (أيمانكم): ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ، تصف المملوك بهذه الولاية حتى مرحلة اعتماده على ذاته ، وقبل خروجه مباشرة من تحت الولاية التي يريد الخروج منها ، وهذا يقابله في مسألة اليتامى مرحلة بلوغ اليتيم رشده قبل دفع أمواله إليه .

وهذا ما تصوره العبارة القرآنية: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ .

ولذلك نرى تكامل هاتين العبارتين القرآنيتين في معيار معجزة إحدى الكبر .

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ = ٣٠٢ .

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ = ١٩٢ ، (٣٠٢ + ١٩٢ = ٤٩٤ = ١٩ × ٢٦) .

والعبارة القرآنية ﴿عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ في العبارة محل التساؤل ، لا تحمل التفسير التاريخي وهو:علمتم لهم قدرة وقوة على الكسب من أجل دفع ما تمت المكاتبة عليه .

فلو كان الأمر كذلك لكان من الأولى أن ترد هذه العبارة القرآنية بالصيغة (علمتم لهم) بدل (علمتم فيهم) . .

فالعبارة القرآنية ﴿عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ تعنى علمتم في كينونتهم الرشد والصلاح والوعي والقدرة على إدارة الذات والاعتماد عليها، وهذا يقابل تماما العبارة القرآنية ﴿آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ في مسألة اليتامى.. لذلك نرى عظمة الصياغة القرآنية تتجلى في تساوي القيم العددية بين هاتين العبارتين القرآنيتين..

﴿آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ = ٩٨.

﴿عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ = ٩٨.

فالخير الذي يريد الله تعالى منا أن نعلمه في هؤلاء، هو الرشد والصلاح والاعتماد على الذات، وليس الاعتداء على حرياتهم وجهدهم ومستقبلهم، وهذا مما كرم الله تعالى به بني آدم، فأي كرامة لبني آدم يمكننا أن نتصورها حينما يكون جهدة ومستقبله وكرامته وحريته بيد الآخرين؟

وهذا ما نقرؤه في التوازن بين العبارتين القرآنيتين التاليتين..

﴿عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ (النور: ٣٣) = ١٠٢.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (سورة الإسراء ٧٠) = ١٠٢.

والعبارة القرآنية ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، تتكامل - في تقابلها مع مسألة اليتامى - مع العبارة القرآنية.

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ فكلا العبارتين أمر إلهي بإخراج من كان تحت الوصاية المادية، من تلك الوصاية، سواء من الموصوفين بهذا الجانب من ملك اليمين، أم من اليتامى، ولذلك تتكامل هاتان العبارتان في معيار

معجزة (إحدى الكبر) .

﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾= ٣٥٤ .

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾= ٤٠٦ ، ٣٥٤ + ٤٠٦ = ٧٦٠ = ١٩ × ٤٠ .

إذا العبارة القرآنية: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ ، تنهي عن عدم فك من يود الانفكاك من هذه الولاية ، حين التأكد من رشده وصلاحه وقدرته على إدارة شؤونه واعتماده على ذاته ، وهذا يتكامل بالنسبة لمسألة اليتامى - مع الأمر الإلهى بدفع أموال اليتامى إليهم وعدم أكلها ومع الأمر بالإشهاد عليهم حين دفع أموالهم إليهم .

﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا ﴾ = ٩٠٠ .

﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ = ٣٥٤ ، ٩٠٠ + ٣٥٤ = ١٢٥٤ = ١٩ × ٦٦ .

ولذلك نرى أن العبارة القرآنية ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ ، تتوازن مع آية كريمة تبين مصير من يأكل أموال اليتامى .

﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ = ٣٥٤ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (سورة النساء ١٠) = ٣٥٤ .

فعدم إخراج الموصوفين بهذا الجانب من ملك اليمين من تحت الوصاية ، حينما يبتغون ذلك ، يوازي أكل مال اليتيم ظلما .

إذا العبارة القرآنية ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ تتكامل - في تقابلها مع مسألة اليتامى - مع العبارة القرآنية ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ ، ففي كلا الحالتين أمر الهي باخراج من يريد الانفكاك من تحت الوصاية . .

﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ = ١٦٢ .

﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ = ١٠٤ ، ١٦٢ + ١٠٤ = ٢٦٦ = ١٩ × ١٤ .

ولذلك فإخراج من يريد الانفكاك من تحت وصاية هذا الجانب من ملك اليمين ، بعد علم رشده وصلاحه وقدرته في الاعتماد على ذاته ، وإعطاؤه من مال الله تعالى الذي أتاه لنا ، يتكامل - في تقابل هذه المسألة مع مسألة اليتامى - مع دفع أموال اليتيم إليه بعد علم رشده وعدم أكلها . . وهذا ما يتجلي في تكامل القيم العددية بين العبارتين القرآنيتين التاليتين . .

﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ = ٢٧٩ .

﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ = ٣٨٦ ، ٢٧٩ + ٣٨٦ = ٦٦٥ = ١٩ × ٣٥ .

بعد هذا البيان القرآني ، وما يتحلى في معجزة (إحدى الكبر) ، من تكامل العبارات القرآنية بين مسألة هذا الجانب من ملك اليمين ومسألة

اليتامى، وما يتحلى في معجزة تساوي القيم العددية للعبارات القرآنية المتوازنة في المعنى والدلالات كما رأينا بعد كل ذلك نرى برهانا دامغا يظهر فساد التفسير التاريخي لمسألة ملك اليمين ويضع النقاط على الحروف، وذكري لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد.

مع كل ما قدمنا من براهين كيف لنا أن نوفق بين ما ذهبنا إليه، وبين كون عقوبة المملوكة نصف عقوبة المحصنة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (سورة النساء ٢٥).

وأن نوفق بينما ذهبنا إليه، وبين عطف المملوكات ملك يمين على الأزواج في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (سورة المؤمنون ٥ - ٧).

وعما إذا كان هذا العطف يعني وجود نوعين متمايزين من النساء بالنسبة لعقد النكاح ؟

كون نكح المملوكة ملك يمين مشروطا بعدم استطاعة نكح المحصنات المؤمنات يقول تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (سورة النساء ٢٥) على أنه يقينا للإجابة على هذه الاستفسارات لا بد من توضيح حقيقة قرآنيه تم تغييبها، وهي أن. **عقد النكاح في القرآن الكريم يتكون من نوعين اثنين:**

النوع الأول: يتصف بالزوجية، أي بالتماثل في العقيدة بين طرفي عقد النكاح، أي أن الرجل زوج للمرأة (بمعنى أنه مماثل لها في العقيدة)، وأن المرأة زوج للرجل (بمعنى أنها مماثلة له في العقيدة).. وحين ذلك تسمي المرأة زوج الرجل، وتسمي امرأته في الوقت ذاته، كامرأة إبراهيم وامرأة

زكريا عليهما السلام . . فصفة الزوجية لا تلغي كون الزوجة امرأة لزوجها . وكل ذلك من منظار الاقتران بعقد نكاح ، فكلمة زوج - في القرآن الكريم - دلالاتها واسعة تتجاوز الساحة التي نلقي الضوء عليها . .

النوع الثاني: لا يتصف بالزوجية ، وبالتالى يتصف بعدم التماثل في العقيدة بين طرفي عقد النكاح ، وحين ذلك لا تسمى المرأة زوج الرجل ، إنما تسمى امرأته فقط .

وذلك - أيضا - من منظار الاقتران بعقد نكاح . . وحين ذلك يسمى هذاالعقد - من هذا المنظار- عقد نكاح ملك يمين ، بمعنى أنه عقد نكاح لملك الوطأ ، دون تحقق الزوجية من تناظر وتماثل في العقيدة . .

ومثال ذلك ، امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام ، وامرأة فرعون . .

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة التحريم ١٠ - ١١) .

الله تعالى يقول ﴿امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾ ويقول جل وعلا: ﴿امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ ، ولم يقل (زوجة نوح وزوجة لوط) ، ولم يقل: (زوجة فرعون) .

إذا . ورود كلمة زوجة يشير إلى التماثل في العقيدة ، بينما ورود كلمة امرأة ليس دليلاً على عدم التماثل في العقيدة ، أو على التماثل . .

وتتجلى هذه الحقيقة أمام أعيننا ، حينما ننظر بعمق إلى النصوص

القرآنية التالية . .

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ (سورة الرعد ٢٣) .

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ (سورة يس ٥٦) .

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (سورة الصافات ٢٢ - ٢٣) .

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (سورة الزخرف ٧٠) .

وهذان النوعان لعقد النكاح، نراهما بشكل جلي في النص القرآني التالي: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (سورة المؤمنون ٥ - ٧) .

فعطف ملك اليمين على الأزواج في هذا النص، هو عطف لنوعي عقد النكاح، من منظار التماثل في العقيدة وعدمه بين طرفي هذا العقد . .

وعقد ملك الوطا الذي يسمى عقد ملك يمين كما قلنا، نراه يتجلي في المسألة الكاملة التالية، حيث يأمر الله تعالى بالابتعاد عنه، إلا عند الضرورة، وضمن شروط . .

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ

الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥) يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء ٢٥ - ٢٧)= ٢٦٦٠= ١٩ × ١٤٠ .

ما نراه في هذه المسألة الكاملة أن الله تعالى يشترط لنكح الفتيات المؤمنات من هذا الجانب من مسألة ملك اليمين، يشترط عدم الاستطاعة من نكح المحصنات المؤمنات . .

فتطبيق أحكام العبارة القرآنية .

﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ .

لا يكون إلا بتحقق الشرط: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ .

وكلمة (طولا) في عبارة الشرط: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ ليست محصورة بالجانب المادي كما ذهبت تفاسيرنا التاريخية، فلا يوجد في هذا النص القرآني ما يشير إلى فقر طالب النكاح .

فقوله تعالى: ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يبين أن طالب النكاح يمتلك المال . . ووجود شرط آخر هو الخوف من الضرر والوقوع في الخطيئة ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ .

وحكم الله تعالى بأن الصبر على عدم النكاح أولى من نكح هذا النوع من ملك اليمين: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ .

إضافة إلى قوله تعالى: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ . كل ذلك يؤكد أن المسألة تتعلق بالعقيدة وليس بامتلاك المال، فليس من المعقول أن يضع الله تعالى كل هذه الاشتراطات لإبعاد الرجال عن نكح امرأة بسبب فقرها وحالتها المادية .

إذا الشرط: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ هو عدم الاستطاعة في تناول المراد من نكح المحصنات المؤمنات، حيث الإحصان المعني في هذه المسألة الكاملة هو إحصان إسلام .

بمعنى: من لم يستطع منكم القدرة على نكح المسلمات المؤمنات لسبب من الأسباب . . . من لا يستطيع ذلك، فلا بأس أن ينكح مما وقع تحت استطاعته وإشرافه وعلمه من الفتيات المؤمنات . . ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ .

وفي المسألة الكاملة التالية بيان إلهي بتحديد انتماء من يسمح نكحها من غير المسلمات . .

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة المائدة ٥) = ١٣٨٧ = ١٩ × ٧٣ .

إذا . المعنيات في جواب الشرط هن الكتابيات حصرا، كخيار في حال عدم الاستطاعة من القدرة على تناول نكح المسلمات المحصنات إحصان إسلام . .

والعبارة القرآنية (من فتياتكم)، تعني: من اللاتي يتحركن ويسعين

تحت علمكم ورؤيتكم وإشرافكم، بحيث تقفون على حقيقتهن . .

فكلمة (فتى) - في القرآن الكريم - تعنى الساعي والمتحرك في مسألة ما .

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (سورة الأنبياء ٦٠) .

فإبراهيم عليه السلام، ليس عبدا لأحد من البشر، إنما هو متحرك وساع في سبيل البحث عن الحقيقة .

والفتية المذكورون في سورة الكهف، إنما وصفوا بهذه الكلمة، لأنهم سعوا وتحركوا في سبيل البحث عن الحقيقة .

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (سورة الكهف ١٣) .

وحينما تضاف كلمة فتى التي تصف إنسانا ما، إلى إنسان آخر، فإنها تعنى الساعي والمتحرك تحت علم هذا الآخر وإشرافه .

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة يوسف ٣٠) .

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (سورة يوسف ٦٢) .

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ (سورة الكهف ٦٢) .

وبالتالى فكلمة ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ﴾ تعنى اللاتي يسعين ويتحركن تحت رعايتكم وإشرافكم وعلمكم وتربيتكم . .

يقول تعالى . .

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (سورة النور ٣٣) .

وعلي هذا . . فالعبارة القرآنية ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ﴾ ، في المسألة التي نحن بصدد دراستها تعنى: من اللاتي يتحركن في المجتمع تحت علمكم ومشاهدتكم ، وبحيث تعرفون أخلاقهن وحقيقتهن من خلال علمكم بسعيهن تحت إشرافكم ورؤيتكم لهن .

وهن - كما قلنا - المحصنات من الذين أوتوا الكتاب: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ اللاتي أباح الله تعالى الارتباط معهن نكاح شرعي ، ولذلك نرى أن هاتين العبارتين القرآنيتين تتكاملان في معيار معجزة (إحدى الكبر) . .

﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ﴾ = ٦٢ .

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾= ٢٠٤ ، ٦٢ + ٢٠٤ = ٢٦٦ = ١٩ × ١٤ .

وفي التكامل بين العبارة القرآنية ﴿فمن مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ من المسألة التي نحن بصدد دراستها ، مع العبارة القرآنية من المسألة الثانية ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ ، والتي تحدد انتماء من يسمح بنكحها من غير المسلمات . . في هذا التكامل دليل إضافي على صحة ما نذهب إليه . .

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ (المائدة:٥) = ٥٧٧

﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ

بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ (النساء: ٢٥) = ٣٥٤ ، ٥٧٧ + ٣٥٤ = ٩٣١ = ١٩ × ٤٩ .

وهذا ما نراه أيضا في التكامل بين العبارتين القرآنيتين التاليتين . .

﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ = ٦٢٠ .

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ (المائدة:٥) = ٥٧٧ ، ٦٢٠ + ٥٧٧ = ١١٩٧ = ١٩ × ٦٣ .

ولذلك في النص القرآني: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ والذي يرد في كتاب الله تعالى مرتين، في سورتي (المؤمنون) و (المعارج) . . نرى أن الآيتين: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ، تلقيان الضوء على نوعي عقد النكاح الشرعي الذي على المؤمن ألا يبتغي وراءهما . . وهما - كما قلنا - عقد زوجية ، حين وجود التناظر في العقيدة ، وعقد ملك يمين ، حين عدم وجود هذا التناظر ، وبالتالي تتكاملان مع ركني الشرط في المسألة الكاملة التي نحن بصدد دراستها . .

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (سورة النساء ٢٥)= ٦٢٩ .

﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المؤمنون:٦-٧) = ٤٣٦ .

﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠)

فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المعارج: ٣٠ - ٣١) = ٤٣٦ ، ٦٢٩ + ٤٣٦ + ٤٣٦ = ١٥٠١ = ١٩ × ٧٩ .

ومما يؤكد حقيقة ما نذهب إليه في بياننا لهذا النوع من مسألة ملك اليمين ، وبأن خيار نكح الكتابية مشروط بشروط أهمها عدم الاستطاعة من تناول نكاح المسلمة ، مما يؤكد ذلك ، هو العطف بكلمة (أو) دون العطف بالحرف (و) في العبارة القرآنية ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ .

ولو كان الأمر كما فسر تاريخيا ، وبأنه تنكح العبدة دون أي شرط وذلك بجمعها مع الحرة كما زعم ، ولو كان الأمر كذلك لتم العطف بين الأزواج وهذا النوع من ملك اليمين بالحرف (و) وليس بالكلمة (أو) . .

أي لأتت هذه العبارة القرآنية على الشكل: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ وْمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ .

ولذلك نرى إنه حين عطف ملك اليمين على الأزواج من زاوية التعلق بعلم الله تعالى ، وليس من زاوية تحديد نوعي عقد النكاح ، نرى أن العطف يكون بالحرف (و) الذي يفيد الجمع ، وليس بالكلمة (أو) التي تفيد التخيير . . فعلم الله تعالى يحيط إحاطة مطلقة بكل شيء . . ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ (سورة الأحزاب ٥٠) .

ومما يؤكد صحة ما نذهب إليه ، أن عقوبة المعنيات بملك اليمين في المسألة التي ندرسها ، وهن الكتابيات - كما قلنا - هي نصف عقوبة المسلمات: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ . .

فالكلمة القرآنية: ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ في هذه العبارة القرآنية ، تصور

ذات النوع من الأحصان الذي تصوره العبارة: ﴿الْـمُحْصَنَاتِ الْـمُؤْمِنَاتِ﴾ في عبارة الشرط في بدأيه الآية الكريمة ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنكِحَ الْـمُحْصَنَاتِ الْـمُؤْمِنَاتِ﴾ وهو إحصان الانتماء إلى الإسلام.. ولذلك نرى أن كلمة ﴿الْـمُحْصَنَاتِ﴾ تتكامل مع العبارة القرآنية: ﴿الْـمُحْصَنَاتِ الْـمُؤْمِنَاتِ﴾.

﴿الْـمُحْصَنَاتِ الْـمُؤْمِنَاتِ﴾ = ٩١.

﴿الْـمُحْصَنَاتِ﴾ = ٦١، ٩١ + ٦١ = ١٥٢ = ١٩ × ٨.

والتفسير التاريخي الذي ذهب لتخفيض عقوبة المملوكة (حسب مفهومهم لملك اليمين) إلى نصف عقوبة الحرة في حال إتيانها للفاحشة، وإلي جعل ذلك معادلة قياسية تخفض فيها أحكام كتاب الله تعالى كالعدة، بناء على هذه العبارة القرآنية: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْـمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾.

هذا التفسير يظهر فساده واضحا جليا.. فأحكام كتاب الله تعالى وحدوده تطبق على جميع المسلمين والمسلمات، دون استثناء، ولا فارق عند الله تعالى من زاوية الالتزام بحدوده وأحكامه بين فقير وغني ومالك ومملوك.

إن الكتابيات اللاتي ارتبطن بعقد نكاح مع بعض المسلمين الذين ينصاعون لمنهج القرآن الكريم بحدوده وأحكامه، لا يمكن تطبيق أحكام القرآن الكريم عليهن، كونهن ينتمين إلى رسالة أخرى لها حدودها وأحكامها، وبالتالى فإن عقوبة إتيان الفاحشة، والتي تطبق على المسلمات، تخفض بالنسبة لهن إلى النصف نتيجة تعلقهن بعقد نكاح ملك يمين مع بعض المسلمين.

وهذا يؤكد صحة ما نذهب إليه في إنتمائهن لعقيدة أخرى لها أحكامها وحدودها.. وكنا قد راينا- سابقا - كيف يتكامل هذا الحكم مع حكم

إتيان الفاحشة بالنسبة للمسلمات . .

﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (سورة النساء ٢٥)= ٣٩٣ .

﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (سورة النساء ١٦) = ٤٠٥ .

٣٩٣ + ٤٠٥ = ٧٩٨ = ١٩ × ٤٢ .

ونرى أنه في العبارة الأخرى - من هذه المسألة الكاملة - والتي تصور حكم إتيان هذه الفاحشة، ترد كلمة (منكم): ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا ﴾ = ١٣٣ = ١٩ × ٧ .

وذلك لتخصيص المسلمين ونسائهم، في الوقت الذي لا نرى فيه هذا التخصيص في العبارة الأخرى .

وفوق ذلك نرى حكما مخفضا إلى النصف . . وكل ذلك يؤكد صحة اسندلالنا .

ومما يؤكد صحة ما نذهب إليه، إننا نرى في العبارة القرآنية: ﴿ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (سورة النساء ٣) .

في عبارة الشرط الثاني لتعدد الزوجات ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (سورة النساء ٣) .

وهو شرط العدل كما بينا سابقا، نرى العطف فيها بكلمة (أو) التي تفيد التخيير، وليس بالحرف (و) الذي يفيد الجمع، وذلك لتشمل دلالاتها مساحة يدخل فيها نوعا عقد النكاح اللذين نتحدث عنهما .

لقد تناولنا هذه المسألة باختصار وفي إطار الرد على ما يثار حولها

ولكن الثابت في الأمر، أن كل عبارات ملك اليمين - في القرآن الكريم - تدرك دلالاتها ضمن السياق القرآني المحيط بها، فهي - كما قدمنا - لم ترد إلا بالصيغة الفعلية، وبصيغه الفعل الماضي حصرا، وهي لا تحمل - أبدا - ما تم الذهاب إليه تاريخيا.

جوهر القفز فوق المنهج الذي يحمله كتاب الله تعالى، يتجسد في الإيمان والإعتقاد بأن نصوص روايات التاريخ - مهما كانت صحتها - نصوص موازية للنص القرآني.

فبدلا من معايرة الروايات التاريخية على كتاب الله تعالى، وأخذها بالمقاربة دون اليقين الموازي لليقين بدلالات النص القرآني.. بدلا من ذلك.. راح الكثيرون يعتبرونها أحاديث مطلقة لا يرون دلالات كتاب الله تعالى إلامن منظارها، وهذا بحقيقته تكذيب بأحكام القرآن الكريم.

هذه الحقيقة التي لا تعجب الكثيرين، نراها جليلة في دلالات المسألة الكاملة التالية: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (سورة الأنعام ٦٦)= ٢٥٢.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف ١٨٥)= ١٦٤.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الجاثية ٦)= ١٩٩.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة المرسلات ٥٠) = ١٦٤ ، ٢٥٢+ ١٦٤ + ١٩٩ = ٧٧٩ = ١٩ × ٤١.

وهكذا نرى - من خلال بحث هذه المسألة وغيرها - كيف وضعت بعض المعايير التاريخية التي تمت صياغتها من تصورات بعض السابقين، لتستخدم في كل زمان ومكان مانعة صواعق، هدفها الحيلولة دون انهيار منظومة ثقافة عبادة الأصنام، وإنشاء مجتمع تحكمه معايير تاريخية، وعقل

تراثي، يعيش الماضي ويلبس ثوب الحاضر. والمهزلة الكبرى أن أصحاب هذه المعايير التاريخية، وأتباعهم، لاينصاعون لأي معيار، حتى لتلك المعايير التي يحددونها بأنفسهم.. فمهزلة الكثير من الروايات التي لفقها بعض السابقين، ونسبوها إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرسول منها براء، لها الكثيرون مدافعين عنها، ضاربين بعرض الحائط، الحد الأدنى مما يدرك من كتاب الله تعالى، ومن قواعد اللغة، ومن العقل والمنطق وهم بذلك يحولون التاريخ ورجالاته إلى مقدس على حساب قدسية كتاب الله تعالى، ويحاولون دفع كل متدبر لكتاب الله تعالى، إلى أن يكون هدفا لأبواق الشياطين وسهامهم.. وبالتالى يغيبون - عن الكثيرين - حقيقة الإسلام، مقدمين أهواءهم وعصبياتهم إسلاما لاعلاقة له بالإسلام، لا من قريب ولا من بعيد.

لقد تم جليا مما تقدم الكشف عن العلاقة الرابطة بين جانب من بناء دلالات النص القرآني، وبين بنائه الرقمي.. وما لهذه العلاقة الرابطة من دلالة كلية تتعلق بما هية المفردة القرآنية..

فالقرآن الكريم يتميزعن غيره من الكتب السماوية بأنه قول الله تعالى وكلامه في حين أن الكتب الأخرى كلام الله تعالى فقط.

ويتميز أيضا بأنه منزل ومنزل من عند الله تعالى، في حين أن الكتب الأخرى منزلة فقط.. فالقول هو الصياغة اللغوية للمعنى الكائن في الذات، أي هو الصياغة اللغوية للكلام.. وأن التنزيل يعني ثبات ماهية المنزل في تنزله من الساحة المنزل منها إلى الساحة المنزل إليها. وأن الإنزال يعني تحول المنزل من الساحة التي أنزل منها إلى الساحة التي أنزل إليها، وارتسامه بما هية الساحة التي أنزل إليها، ليكون ميسرا للفائدة في الساحة التي أنزل إليها.

من هذا نستنتج أن الكلمة القرآنية التي بين أيدينا هي ذاتها دون تغير وتحول نزلت إلينا من عند الله تعالى . . أي أنها ليست وضعية من اصطلاح البشر ، كباقي الكلمات التي يتعامل معها البشر في حياتهم الدنيا . .

الكلمة وعاء المعنى . . كما أنَّ الكأس وعاء السائل الذي يوضع فيه . . ولا يمكن للوعاء أن يحمل أكثر من حجمه الذى صمم من أجل حاجته الوظيفية . . . من هنا . . فإن الكلمة الوضعية التي اصطلح عليها البشر ، تحمل من المعاني والدلالات ما يتناسب مع علم واضعها ، ولا يمكن تحميلها من المعنى والدلالات أكثر مما حملها واضعها .

وبالتالى فالكلمة الوضعية ، تقارب المعنى الذي أدركه واضعها ، للشيء الذي وضعت الكلمة اسما له . . وبالتالى تبتعد هذه الكلمة الوضعية عن ذات المعنى الحق لهذا الشيء مسافة جهل واضعها بحقيقة هذا الشيء . .

والقرأن الكريم الذي نزله الله تعالى تبيانا لكل شيء . . دلالاته ومعانيه غير متناهية . . وهذا لا يكون إلا إذا كانت كلماته أوعية تحمل من المعاني والدلالات ما يحيط بكليات كل الأشياء في هذا الكون . . وهذا نتيجة كون صائغها سبحانه وتعالى محيطا بكليات كل شيء في هذا الكون ، ونزلها من عنده إلى عالمنا دون أي تحويل أو تغيير . . .

وبالتالى فالكلمة القرآنية هي ذات المعنى الحق للشيء الذي تسميه هذه الكلمة . .

وفي المسألة الكاملة التالية دليل على ذلك . . حيث يتقاطع النصان المكونان لها عند هذه الحقيقة . . .

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا

عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (سورة البقرة ٣١-٣٣) = ١٢٣٤ .

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة النحل ٨٩)= ٧٠٤ ، ١٢٣٤ + ٧٠٤ = ١٩٣٨ = ١٩ × ١٠٢ .

فالله تعالى علم آدم الأسماء كلها . . وحينما يقول الله تعالى: ﴿الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ فهذا يعني: ﴿الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ . . والقرآن الكريم نزله الله تعالى تبيانا لكل شيء .

وبالتالي تبيانا للأسماء كلها التي علمها لآدم عليه السلام قبل هبوطه إلى الأرض . .

من هنا نستنتج أن الأسماء كلها المعنية محتواه في دلالات الكلمات القرآنية ، فكليات الأشياء في هذا الكون يحملها القرآن الكريم كما يؤكد منزله جل وعلا ، وقد تأكدت هذه الحقيقة رياضيا ومنطقيا فقد رأينا كيف أن بناء المعنى والدلالات للنص القرآني يتعلق تماما مع البناء العددي ويتوازن معه . (يراجع في ذلك كتاب المعجزة الكبرى للمفكر الإسلامي عدنان الرفاعي) .

ولما كان الحرف اللبنة الأولى في البناء العددي الذي رأيناه في تناولنا وتوظيفيا لنظرية (إحدى الكبر) للعالم والمفكر الإسلامي عدنان الرفاعي . فهذا يقتضي أنه اللبنة الأولى في بناء المعنى والدلالات . . فالوحدة الأولى للمعنى في القرآن الكريم هي الحرف وليس الكلمة . . وهذا ما لا نجده في

أي لغة وضعية ، بما في ذلك مفردات اللغه العربية غير القرآنية . .

إذا . تحمل الكلمة القرآنية معنى هو في النهاية مجموع معاني الحروف المكونة لها ، مع الأخذ بعين الاعتبار ترتيب الحروف في هذه الكلمة ، والجذر اللغوي الذي تفرعت عنه . .

فحينما يقول الله تعالى ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (سورة القلم ١) .

فإن حرف النون النوراني:

(ن) يحمل معنى مستقلاً بذاته ، وهو ذاته المعنى الذي يحمله حرف النون في كلمة ﴿يَسْطُرُونَ﴾ ، ولكن حرف النون في كلمة ﴿يَسْطُرُونَ﴾ يدخل مع غيره من حروف هذه الكلمة في تكوين معناها . . . وكذلك الأمر حينما يقول الله تعالى . .

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ (سورة ق ١) . . فإن حرف القاف النوراني (ق) يحمل معنى مستقلا بذاته ، وهو ذاته المعني الذي يحمله حرف القاف في كلمة (والقرآن) ، ولكن حرف القاف في كلمة (والقرآن) يدخل مع غيره من حروف هذه الكلمة في تكوين معناها . . وكذلك كل الحروف القرآنية في بدأيات بعض سور القرآن الكريم . .

وبامكاننا أن نستنبط هذه الحقيقة من الحروف القرآنية ذاتها ، فهي حروف مقطعة تقرأ بشكل مقطع . . ومنها ما أتي بآيات مستقلة ، ومنها ما يكون مسألة كاملة دون الحروف غير القرآنية التالية لها ، فقد رأينا أن الحروف القرآنية في سورة مريم تكون لوحدها مسألة كاملة في معيار معجزة (إحدى الكبر) . ﴿كهيعص﴾ (سورة مريم ١) = ٥٧ = ١٩ × ٣ .

ورأينا أن مجموع القيم العددية لهذه الحروف النورانية ، مع حذف المكرر ، تكون مسألة كاملة قيمتها العددية تساوي جداء أساس معجزة (إحدى الكبر)

في نفسه: ﴿آلم﴾ = ٧، ، ﴿المص﴾ = ٢٩، ، ﴿الر﴾ = ١١، ، ﴿آلمر﴾ = ١٥، ، ﴿كهيعص﴾= ٥٧ = ١٩ × ٣، ، ﴿طه﴾ = ٣٣، ، ﴿طسم﴾ = ٤٥، ، ﴿طس﴾ = ٤١، ، ﴿يس﴾ = ٢١، ، ﴿ص﴾ = ٣٨، ، ﴿حم﴾ = ٢٢، ، ﴿عسق﴾ = ٤١، ، ﴿ق﴾ = ١٤.

﴿ن﴾ = ٣، ٧ +٢٩ +١١ + ١٥ + ٥٧ + ٣٣ +٤٥ + ٤١ + ٢١ + ٢٢ + ٢٢ + ٤١ + ١٤ + ٣ = ٣٦١، ٣٦١ = ١٩ × ١٩.

ومن هنا نرى أن كل ما في القرآن الكريم من عند الله تعالى..

فكلماته فطرية موحاة من الله تعالى علمها الله تعالى لآدم عليه السلام، قبل هبوطه إلى الأرض...

وهبط بها إلى الأرض، حيث حافظت على هذه الكلمات أمة أمية إلى أن نزل القرآن الكريم مصوغا في هذة المفردات.

ونرى أيضا أن صياغته من عند الله تعالى، كونه قول الله تعالى.. وأنه نزل كما هو تما ما دون أى تحول وتغير؛ كونه تنزيلا من عند الله تعالى... فلا يمكن لعاقل أن يتصور أن الله تعالى يفرغ معانيه المطلقة التي تحمل تبيانا لكل شيء، في قوالب لغوية من صنع البشر سعتها لا تتجاوز علم هؤلاء البشر.

وإذا قلنا أن المفردات القرآنية ليست وضعية من صنع البشر.. وبالتالى ليست من صنع قوم العرب الذين تكلموا بهذه المفردات قبل نزول القرآن الكريم..... فكيف نوفق بين هذا القول، وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف ٢)..

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الزخرف ٣).

أليس قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ يعني قرآنا بلغة قوم العرب ؟..

محور الإجابة على هذا التساؤل يكمن في إدراك دلالات الجذر اللغوي (ع ، ر ، ب) في القرآن الكريم . . . ولإدراك دلالات هذا الجذر اللغوي ، لابد من الوقوف عند دلالات جميع مشتقاته في كتاب الله تعالى . .

إن دلالات الكلمات القرآنية المتفرعة عن هذا الجذر اللغوي في كتاب الله تعالى ، تدور داخل إطار من المعنى هو: الكمال والتمام والخلو من العيب والنقص . .

ولذلك نرى - في كتاب الله تعالى - أن صفة العرب لم تتعلق بالبشر أبدا ، وإنما تأتي متعلقة بكتاب الله تعالى ، وباللاتي سينشئهن الله تعالى في الآخرة ، وبآلية اللغة وأسلوب المخاطبة وطريقة التبيان ، أي اللسان . وما تعلق بالبشر ، هو صفة الأعراب ، وليس العرب . .

فكلمة ﴿عُرُبًا﴾ في قوله تعالى . . ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (سورة الواقعة ٣٥ - ٣٧) .

تعنى كاملات ، تامات ، خاليات من أي عيب أو نقص . . ولا يمكن لعاقل أن يتصورها بمعنى انتماءهن إلى قوم العرب ، من سورية ، أو من مصر أو من المغرب ، على سبيل المثال . . . . . .

وكلمة ﴿عَرَبِيًّا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة الرعد ٣٧) . .

لا يمكن أن تصف الحكم الذي أنزله الله تعالى بأنه لقوم العرب . . فالحكم الذي أنزله الله تعالى كامل تام خال من أي عيب أو نقص . .

وإلا لماذا يصلي الأتراك ، ولماذا يصوم أهل إيران ، ولماذا يحج أهل الباكستان . .

في هذا الإطار من المعنى تدرك دلالات كلمة ﴿عَرَبِيًّا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف ٢).

فالقرآن أنزله الله تعالى كاملا تاما خاليا من أي عيب أو نقص، لعل الناس جميعا يعقلونه.. فقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ في هذه الآية الكريمة خطاب للبشرية جمعاء، وليس خاصا بقوم العرب.. وفي ذات الإطار من المعنى ندرك دلالات قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الزخرف ٣).

وكلمة ﴿لِسَانَ﴾ في كتاب الله تعالى، تعنى أسلوب المخاطبة، ووسيلة التبيان.. يقول تعالى..

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (سورة مريم ٥٠).

وبالتالى فأسلوب إنذار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نتيجة نزول جبريل عليه السلام بالقرآن الكريم على قلبه، ووسيلة تبيانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كامل تام خال من أي عيب أو نقص...

هذا ما ندركه من دلالات كلمة (عربي) في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (سورة الشعراء ١٩٣ - ١٩٥).

أما كلمة الأعراب فهي مشتقة من الفعل (أعرب).. ولذلك فهمزة التعدي هذه نقلت المعنى إلى النقيض.. فالأعراب يتظاهرون بالكمال والتمام والخلو من العيب والنقص، مع إنهم نقيض ذلك

ومسألة نقل هذه الهمزة للمعنى إلى النقيض واردة في كتاب الله تعالى.. ففي الجذر اللغوي.

(ق ، س ، ط) نرى إنه في الانتقال من الفعل (قسط) إلى الفعل (أقسط) ننتقل من المعنى إلى نقيضه . . فالقاسطون الذين هم لجهنم حطبا ، نقيض المقسطين الذين يحبهم الله تعالى . .

وكنا قد رأينا أن الإطار العام لما تصفه كلمة الأعراب يدور حول الكفر والنفاق . . يقول تعالى . .

﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ (سورة التوبة ٩٧) .

ولذلك نستشف من هذه العبارة القرآنية ثلاث صفات متلازمة هي: ﴿ الْأَعْرَابُ ﴾ ، ﴿ الكُفْر ﴾ ، ﴿ النِفَاق ﴾ .

ونرى أن هذا التلازم ينعكس في توزان القيم العددية بين الكلمات الحاملة لها في كتاب الله تعالى .

﴿ الْأَعْرَابُ ﴾ = ﴿ الكُفْرَ ﴾ = ﴿ النِفَاقَ ﴾ = ٣٤ .

أما القول بأن كلمة الأعراب - في كتاب الله تعالى - تعنى سكان البادية ، فهذا يتعارض مع روح القرآن الكريم ، الذي يصف البشر بالكفر والنفاق بناء على حقيقة انتماءاتهم العقيدية ، وليس بناء على انتماءاتهم الجغرافية والإقليمية . .

ولو كانت كلمة الأعراب لا تعني إلا البدو ، لاستبدلت في كتاب الله تعالى بكلمة البدو . . فكلمة البدو كلمة قرآنية .

يقول تعالى واصفا قول يوسف عليه السلام . . ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾ (سورة يوسف ١٠٠) .

ففي القرآن الكريم لا توجد كلمة قرآنية مرادفة لأخرى بالمعنى الذي يتصوره بعض البشر .

وصفة العربي التي يوصف القرآن الكريم بها، نقيض صفة ﴿أَعْجَمِيّ﴾ التي تعنى الإبهام، وعدم الكمال والتمام والخلو من العيب والنقص.. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ (سورة فصلت ٤٤). برهان على ذلك.

فلو كانت كلمة ﴿أَعْجَمِيّ﴾ في هذه الآية الكريمة، لا تعني إلا اللغات الأخرى غير اللغة القومية عند العرب، وأن الله تعالى جعل هذا القرآن بلغه قوم العرب حتى لا يحتج قوم العرب.

لو كان ذلك صحيحا، لكان من حق غير العرب أن يحتجوا على نزول القرآن الكريم بلغة أخرى غير لغتهم، ولكان القرآن الكريم أعجميا بالنسبة لهم.. وكل ذلك محال. فكلمة: ﴿أَعْجَمِيّ﴾ تشير إلى الوجه النقيض لما تعنيه كلمة عربي، وذلك في وصف كتاب الله تعالى، كما أن كلمة ﴿الْأَعْرَابُ﴾ تشير إلى صفات البشر الذين يتظاهرون بصفات الكمال والتمام والخلو من العيب والنقص، مع أنهم نقيض ذلك.

وهكذا يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ (سورة فصلت ٤٤)، هو: ولو جعلناه قرآنا مبهما يحوي العيب والنقص، لرأوا فيه عيبا ونقصا، ولحسبوا فيه كمالا وتماما حسب ما يوافق أهواءهم، وبالتالى لقالوا: أعيب ونقص، وكمال وتمام.. أي لقالوا: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾.

إذا القرآن الكريم وصف بالعربي لأنه كامل تام خال من أي عيب أو نقص.. أما القول بإنه وصف بذلك؛ لأنه مصوغ بمفردات من لغة قوم العرب، فهو صحيح من جهة أن مفرداته اللغوية الكاملة التامة الخالية من أي عيب أو نقص، والتي علمها الله تعالى لآدم عليه السلام، وهبط بها إلى

الأرض ، محتواه داخل مجموع المفردات التي يتكلم بها قوم العرب .

وسنقف عند جميع الصور القرآنية التي وصف بها كتاب الله تعالى بالعربي ، لنرى كيف أنها تتكامل في كل جانب من جوانب كمال كتاب الله تعالى .

وحي القرآن الكريم ، كامل تام خال من أي عيب أو نقص . . ولذلك فالقرآن الموحي من الله تعالى يوصف بالعربي .

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (سورة الشورى ٧)= ٦٢٧ = ١٩ × ٣٣ .

[٢] - إنزال القرآن الكريم نصا وحكما ، كامل تام خال من أي عيب أو نقص . . ولذلك فالقرآن الكريم المنزل نصا وحكما يوصف بالعربي .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة يوسف ٢)= ١٨٥ .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ (سورة الرعد ٣٧)= ١٥٣ .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (سورة طه ١١٣)= ٤٦٠ ، ١٨٥ + ١٥٣ + ٤٦٠ = ٧٩٨ = ١٩ × ٤٢ .

[٣] - إليه تبيان القرآن الكريم ﴿ اللِّسَانَ ﴾ كونه عربيا ، وليس أعجميا ، بمعنى وليس مبهما ، وتفصيل آياته قرآنا غير ذي عوج يضرب الله تعالى فيه من كل مثل . . كل ذلك كامل تام خال من أي عيب أو نقص . . ولذلك يوصف بالعربي . .

﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (سورة النحل ١٠٣)= ١٠٨ .

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ

(١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (سورة الشعراء ١٩٣ - ١٩٥) = ٣١٥ .

﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (سورة الزمر ٢٧ - ٢٨) = ٥٤٣ .

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة فصلت ٣) = ٢٢٣ .

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ (سورة فصلت ٤٤) = ٣١٦ .

﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة الأحقاف ١٢) = ٣٧٦ ، ١٠٨ + ٣١٥ + ٥٤٣ + ٢٢٣ + ٣١٦ + = ٣٧٦ = ١٨٨١ = ١٩ × ٩٩ .

[٤] - جعل القرآن الكريم بمعنى وصفة وتسميته على حقيقته كما هو دون أى إرتسام بمادة عالمنا هووصف تنزيله فقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الزخرف ٣) .

يبين جانب تنزيل القرآن الكريم ، من الفعل نزل .

لذلك نرى أن العبارة القرآنية فيه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ ، تتوازن مع آية قرانية تبين جانب التنزيل لكتاب الله تعالى .

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الشعراء ١٩٢) = ١١١ .

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة الزخرف ٣) = ١١١ .

وقد رأينا كيف أن جعل القرآن الكريم عربيا لعل البشر يعقلون ، يتوازن مع تنزيل الذكر وحفظه ومع الروح ، حيث يتصف القرآن الكريم بصفة الروح .

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر ٩)= ١٨٨ .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (سورة الإسراء ٨٥)= ١٨٨ .

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الزخرف ٣)= ١٨٨ .

وكل عبارة من هذه العبارات القرآنية، التي تصور جوانب تنزيل القرآن الكريم، تتكامل مع عبارة قرآنية تبين أن هذا التنزيل هو تبيان لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين . .

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة النحل ٨٩)= ٣٢٥ .

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر ٩)= ١٨٨

٣٢٥ + ١٨٨ = ٥١٣ = ١٩ × ٢٧ .

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة النحل ٨٩)= ٣٢٥ .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (سورة الإسراء ٨٥)= ١٨٨

١٨٨ ٣٢٥ + ١٨٨ = ٥١٣ = ١٩ × ٢٧ .

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة النحل ٨٩) = ٣٢٥ .

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الزخرف ٣)= ١٨٨ ،

٣٢٥ + ١٨٨ = ٥١٣ = ١٩ × ٢٧ .

وتنزيل القرآن الكريم هو - كما قلنا - بمعنى عدم تغيير ماهيته ما بين الساحة المنزل منها، وبين الساحة المنزل إليها . . فالمفردات القرآنية التي صاغ

الله تعالى بها القرآن الكريم، هي ذاتها المفردات التي علم بها آدم عليه السلام الأسماء كلها.

وهكذا فالقرآن المنزل من الله تعالى، والذي جعله الله تعالى قرآنا عربيا، والذي نزل به الروح الأمين عليه السلام على قلب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لينذر بتبيان كامل تام خالٍ من أي عيب أو نقص، تمت صياغته من ذات الأسماء التي علمها الله تعالى لأبي البشرية جمعاء، آدم عليه السلام.. وبالتالى فالمفردات القرآنية هي ذاتها المفردات الأولي التي نطق بها أبو البشريه جمعاء..... هذه الحقيقة نراها في المسألة الكاملة التالية..

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (سورة البقرة ٣١)= ٨٩.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ (سورة الشعراء ٩٢ - ٩٥) = ٤٢٦.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الزخرف ٣)= ١٨٨.
٨٩ + ٤٢٦ + ١٨٨ = ٧٠٣ = ١٩ × ٣٧.

إن نزول الروح الأمين عليه السلام بالقرآن المصوغ من مفردات الأسماء التي علمها الله تعالى لآدم عليه السلام، على قلب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو فضل الله تعالى العظيم على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإنزال الله تعالى الكتاب والحكمة عليه وبتعليمه ما لم يكن يعلم..... هذه الحقيقة نراها في توازن القيم العددية بين المسألتين المتوازنتين التاليتين..

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (سورة البقرة ٣١)= ٨٩.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (سورة الشعراء ١٩٣ - ١٩٥) = ٣١٥. ٨٩ + ٣١٥ =

٤٠٤ .

﴿وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (سورة النساء ١١٣) = ٤٠٤ .

ودلالات العبارة القرآنية . . ﴿وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ التي تلقي الضوء على جوهر إنزال الكتاب والحكمة على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تتكامل مع تتريل الكتاب تبيانا لكل شيء ، كونه مصوغا من مفردات فطرية هي ذاتها التي علمها الله تعالى لآدم عليه السلام . .

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (سورة البقرة ٣١)= ٨٩ .

﴿وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (سورة النساء ١١٣) = ١٥٧ .

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ = ١٧٢ ، ٨٩ + ١٥٧ + ١٧٢ = ٤١٨ = ١٩ × ٢٢ .

للتوفيق بين هذا القول ، وبين قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (سورة إبراهيم ٤)؟

نقول أن سنة الله تعالى التي لا تتبدل ولا تتحول أن يرسل الله تعالى كل رسول بلسان قومه ليبين لهم منهج الله تعالى على أكمل وجه . . وقد بين الله تعالى هذه السنة في المسألة الكاملة التالية . .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة إبراهيم ٤) = ٤٧٥ = ١٩ × ٢٥

ففي الرسالات السابقة نرى أن لغة كل رسول ، وأسلوبه ، وآلية تبيانه ، لا تخرج عما اعتاد عليه قومه ، وعن لغاتهم الوضعية ، كون تلك

الرسالات ، لأزمنة وأمكنة محددة .

وفي الرسالة الخاتمة لم تتغير سنة الله تعالى هذه أبدا . . ولكن الذي تغير أن هذه الرسالة أصبحت لجميع الناس في كل زمان ومكان . . فكون رسول الرسالة الخاتمة أرسله الله تعالى للناس دون استثناء . . يوازي كون كتاب الرسالة الخاتمة بيانا للناس دون استثناء . .

هذا التوازن بين هاتين المسألتين ، نراه توازنا في القيم العددية بين النصين القرآنيين التاليين . .

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة آل عمران ١٣٨)= ١٩٩ .

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ (سورة النساء ٧٩)= ١٩٩ .

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ = ٦٧ .

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ﴾ = ٦٧ .

إذا بعث رسول الرسالة الخاتمة بلسان الناس (دون استثناء) ، ليبين لهم دون استثناء ولذلك نرى أن كلا من العبارتين القرآنيتين السابقتين ، تتكامل مع العبارة القرآنية المصورة لجوهر سنه الله تعالى ، في بعث رسله بلسان المبعوث إليهم . .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (سورة إبراهيم ٤) = ١٨٠ .

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ (سورة آل عمران ١٣٨)= ٦٧ . ١٨٠ + ٦٧ = ٢٤٧ = ١٩ × ١٣ .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (سورة إبراهيم ٤)

= ١٨٠ .

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ﴾ (سورة النساء ٧٩) = ٦٧ ، ١٨٠+٦٧=٢٤٧ = ١٩*١٣ .

وهكذا فاللسان الأمثل الذي يتقاطع عنده كل الناس على مختلف قومياتهم ولغاتهم ، هو اللغة الفطرية التي علمها الله تعالى لأبي الناس جميعا ، آدم عليه السلام ، وهي اللغة الأولى للبشرية . . وهي المفردات القرآنية كما قلنا سابقا .

فلا يمكن أن تتحقق سنه الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (سورة إبراهيم ٤) .

في الرسالة الخاتمة التي أنزلها الله تعالى لكل الناس ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ﴾ ، وبيان لكل الناس ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ . .

إلا إذا كانت لغة كتابها (القرآن الكريم) ، ليست من وضع الناس ، ويلتقي عندها كل الناس ، وتكلمها أبو الناس ، آدم عليه السلام . .

وهذه الرسالة الخاتمة التي أرادها الله تعالى لكل الناس إلى قيام الساعة ، حيث تدرجت الرسالات السماوية - كما رأينا - للوصول إليها ، أخذ الله تعالى ميثاق النبيين وميثاق الذين أوتوا الكتاب - حيث يبلغ النبيون أممهم - بأن يؤمنوا بها حين نزولها ، وأن ينصروا رسولها ، وأن يبينوها للناس . .

لذلك نرى أن العبارات القرآنية المصورة لخطاب الله تعالى المباشر لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإرساله إلى الناس والعالمين ، بكلمة ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ ، تتكامل مع العبارات القرآنية المصورة لأخذ الله تعالى ميثاق النبيين وميثاق الذين أوتوا الكتاب ، في نصرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والإيمان به ، وتبين منهج الله تعالى وعدم كتمانه . .

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٧٩) = ١٩٩ .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء ١٠٧)= ١٢١ .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة سبأ ٢٨) = ٣١٣ .

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (سورة آل عمران ٨١) = ١٠١٨ .

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (سورة آل عمران ١٨٧) = ٦٨٦ . ١٩٩+ ١٢١ + ٣١٣+ ١٠١٨ + ٦٨٦ = ٢٣٣٧ = ١٩ × ١٢٣ .

وفي الآية الكريمة المصورة لأخذ ميثاق النبيين نص يصور جوهر هذا الميثاق بتبليغ النبيين لأممهم من أجل نصرة رسول الرسالة الخاتمة، والإيمان به، وجوهر إقرارهم بهذا، وذلك حين مجيء رسول الرسالة الخاتمة... وكنا قد رأينا سابقا أن اسم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرسالات السابقة هو (أحمد)... لذلك نرى أن القيمة العددية لهذا النص تساوي تسعة عشر ضعفا القيمة العددية لكلمة (أحمد).

﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (سورة آل عمران ٨١) = ٧٤١ = ١٩ = ٣٩ . (أحمد) = ٣٩ .

وهنا يثور التساؤل عن سبب إعراض الكثيرين عن منهج الله تعالى

الذي أراده للبشرية جمعاء .

فهل تكمن المشكلة في تقصير المسلمين بإبلاغ هذا المنهج ، وبعدم تدبره وإستنباط معجزاته في كل زمان ومكان .

أم تكن في إعراض بقية الناس عن هذا المنهج ؟

وقد نرى المشكلة تكمن أولا في تقصير المسلمين خلال التاريخ ، من خلال عدم تدبر القرآن الكريم تدبرا كافيا ، موازيا لتطور البشرية الحضاري . .

وتكمن ثانيا في إعراض الآخرين . .

فمهمة تدبر آيات كتاب الله تعالى ، لاستنباط أحكامه ومعجزاته في كل زمان ومكان ، من أجل تطبيق هذه الأحكام ، وإبلاغ الآخرين بالمنهج من خلال عرض معجزات كتاب الله تعالى عليهم .

هذه المهمة الكبيرة ، تقع على مسؤولية المسلمين عامة ، وعلي مسؤولية العرب المسلمين خاصة ، كونهم يدركون - أكثر من غيرهم - لغة كتاب الله تعالى .

فدفع التاريخ ورواياته إلى داخل إطار المقدس الديني ، دون معايرة حقيقية على دلالات كتاب الله تعالى ، هو- في الحقيقة - دفع لمستقبل إبلاغ منهج الله تعالى إلى مذبح فكري ، وسير بمستقبل هذا الدين فوق حقل من الإلغام ، يمتد إلى قيام الساعة

فأي رواية تاريخية تقدم على أنها من المقدس ، وتثبت معارضتها لدلالات كتاب الله تعالى ، وللحقائق العلمية ، هي لغم يساهم في تدمير مصداقية منهج الله تعالى عند المسلمين وغيرهم على حد سواء .

إن درجة التقصير في التدبر الحقيقي لكتاب الله تعالى، في أي عصر من العصور، هي ذاتها درجة التخلف الفكري تجاه إدراك الفكر الحق الذي يحمله القرآن الكريم لذلك العصر، وهي ذاتها درجة القوة الدافعة لفكر الأمة باتجاه الماضي، والمراوحة في المكان واجترار فكر الماضي، والعيش في الدلالات التي إدركها السابقون من كتاب الله تعالى، دون الدلالات التي يحملها القرآن الكريم للعصر الذي تعيشه الأمة.

فمن لا ينظر إلى آيات كتاب الله تعالى ودلالاته، إلا من منظار إدراك السابقين لها، إنما يجحد حقيقة هذه الآيات، وتستيقن نفسه هذا الجحود ظلما وعلوا، ويتماثل في ذلك مع فرعون وقومه في الإعراض عن آيات الله تعالى.

والخروج من ساحة الالتزام بمنهج الله تعالى إلى ساحة الفساد.. يقول تعالى في وصف ذلك.

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة النمل ١٤) = ٤٥٦= ١٩ × ٢٤.

إذا مع الزمن، أن لم يتم التدبر الحقيقي لدلالات كتاب الله تعالى، فستزداد المسافة الفاصلة بين الفكر الذي تحمله الأمة في أي عصر، وبين الفكر الذي يحمله القرآن الكريم لذلك العصر.

وكلما مر الزمن تزداد هذه المسافة الفاصلة.

*****